نموذج ترخيص

أنا الطالب: كبرى أوزدمير كلش أمنح الجامعة الأردنية و/أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و/أو استعمال و/أو استغلال و/أو ترجمة و/أو تصوير و/أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و/أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير/الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها

أبو علي الجبائي مفسراً

وذلك لغايات البحث العلمي و/أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و/أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: كبرى أوزدمير كلش

التوقيع:

التاريخ: 18.08.2015

أبو علي الجُبَّائي مفسراً

إعداد
كبرى أوزدمير كلش

المشرف
الدكتور أحمد خالد شكري

المشرف المشارك
الدكتور إبراهيم محمد برقان

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

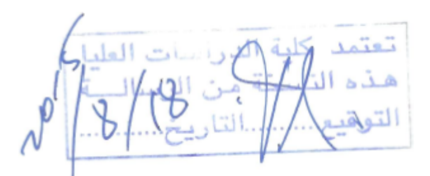
كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب، 2015

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (أبو علي الجبائي مفسراً)، وأجيزت بتاريخ ٢٠١٥/٨/١٦:

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور أحمد خالد شكري، مشرفاً أستاذ – التفسير وعلوم القرآن	
الدكتور إبراهيم محمد برقان، مشرفاً مشاركاً أستاذ مشارك – العقيدة	
الدكتور محمد خازر المجالي، عضوًا أستاذ – التفسير وعلوم القرآن	
الدكتور محمد أحمد الخطيب، عضوًا أستاذ – العقيدة	
الدكتور يحيى ضاحي شطناوي، عضوًا أستاذ مشارك – التفسير (جامعة اليرموك)	

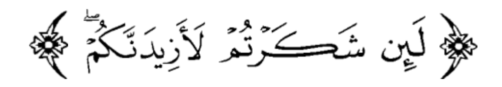


الإهداء

إلى أرواح العلماء المسلمين...

التقدير والشكر

بـــســم الله الـرحـــمــن الـرحـــيـــم



أعظم الشكر والحمد لله عز وجل على ما أنعمت به علي من إنجاز هذا العمل.

والشكر الذي لا تحصره الكلمات ولا تحده العبارات لمشرفي فضيلة الدكتور أحمد شكري الذي أعطى وقته دون بخل. فكانت نصائحه وإرشاداته وتوجيهاته وملاحظاته نوراً لهذا البحث وللحياة العلمية.

ثم أتقدم بالشكر إلى فضيلة الدكتور إبراهيم برقان، الذي رعى هذا البحث منذ بدايته، وأهداني نصائحه وملاحظاته وتوجيهاته، حَتَّى ظهر هذا البحث بهذه الصورة.

وأخص بالشكر أمي "أم فاتح" وأبي "أبو فاتح" وزوجي "أبو أحمد" من أجل إعانتهم في تعليم العلم.

كما أتوجه بالشكر إلى وزارة التعليم التركية التي منحت لي الفرصة والمنحة للدراسة.

وكذلك الشكر إلى من ساعدني في إتمام هذه الرسالة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

الموضوع رقم الصفح

أبو علي الجبائي مفسرًا

إعداد
كبرى أوزدمير كلش

المشرف
الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري

المشرف المشارك
الدكتور إبراهيم محمد برقان

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز منهج أبي علي الجبائي في تفسيره، وبيان الاتجاه الكلامي الإعتزالي فيه. قام الباحثة فيها بعمل دراسة عن عصر الجبائي، وحياته الشخصية والعلمية، ثم عرفت بتفسير الجبائي، ومصادره التي اعتمد عليها في أثناء كتابته لها، وعنايته بعلوم القرآن كالنسخ، وأسباب النزول إلى جانب الحديث عن المحكم والمتشابه وغيرها من المسائل المتعلقة بهذا العلم.

ثم تناولت الباحثة منهج الجبائي بالدراسة والتحليل فجاء في أربعة مباحث تناولت فيها منهجه في التفسير الأثري، من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين، ثم تحدثت عن التفسير العقلي، ثم أفردت مبحثًا للحديث حول التفسير اللغوي عند الجبائي تحدثت فيه عن عناية الجبائي باللغة، والنحو، والبلاغة. ثم تناولت منهج الجبائي في المسائل الفقهية التي تعرض لها في تفسيره.

و أخيرًا تحدثت الباحثة عن الاتجاه الكلامي الاعتزالي في تفسير الجبائي، وبينت موقف الجبائي من مذهبه الاعتزالي في تفسيره تحت تأثير أصول المعتزلة الخمسة، وبحثت عن ردود الجبائي على الآخرين في تفسير بعض الآيات، ثم ختم البحث بخاتمة فيها أهم النتائج.

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بشيرًا ونذيرًا، والصلاة والسلام على من أحيا الدين بعد أن كان أسيرًا، وعلى آله وأصحابه المقدمين على الخير ولوعسيرًا.

أما بعد؛

فقد بدأت الخلافات الأولى بين المسلمين سياسيةً أوعقائديةً حول الإمامة، وشروطها، فتشتت المسلمون فرقًا و شيعًا على مدى الأيام. و الفرق كلها أرادت إضفاء الشرعية إلي آرائها، لذلك لجأوا إلى كتاب الله تعالى كمصدر رئيسي في الاستدلال على ما ذهبوا إليه من آراء عقدية لتلقى قبولاً بين المسلمين.

ومن هذه الفرق المعتزلة التي ولئن اعتمدت على العقل في الاستدلال على آرائها، غير أنها حاولت أن تستدل بالقرآن الحكيم على آرائها لتعضدها به استدلالها بالعقل.

وألّف كثير من أصحاب المعتزلة تفاسير للقرآن الكريم، ولكن لم يصل إلينا منها إلا هذه التفاسير الثلاثة: تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (359-415هـ)، وأمالي للشريف المرتضي (355-436هـ)، والكشاف للزمخشري (467-538هـ). مع ذلك أول من ألّف في التفسير من المعتزلة هو الأصم (240هـ)، الذي كتب تفسيره في القرن الثالث، وبعد ذلك العصر يأتي تفسير مفسرنا أبي علي الجبائي (303هـ.).

موضوع الدراسة بعنوان أبو علي الجبائي مفسراً.

مسوغات اختيار الموضوع:

نزل القرآن الكريم هدايةً للناس إلى صراط الله المستقيم، لذا اهتم العلماء بدراسته، وتفسيره، وألّف كثيرًا من التفاسير من أجل ذلك، ومن الواجب علينا الوقوف على هذه التفاسير لتعرف منهجهم، واتجاهاتهم. وجاءت هذه الدراسة لتتناول منهج الجبائي في تفسيره وبيان الاتجاه الكلامي الاعتزالي فيه.

ويُعد أبو علي الجبائي واحدًا من أهم علماء المعتزلة في مدرسة البصرة حتى اعتبر أشهر العلماء بعد أبي هذيل العلّاف في مذهب المعتزلة.[1] فتكمن أهمية الدراسة في معرفة تأثير علم الكلام

[1] انظر: ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، المطبعة الكاثوليكية، 1961، بيروت، ص80.

المعتزلي في تأويلات القرآن الكريم، وقد أشارت إلى التطبيقات الفعلية للتفسير الاعتزالي في كتاب الله من وجهة نظر الجبائي.

ويمكن القول بأنَّ تفسير الجبائي من أوائل التفاسير الاعتزالية من حيث الزمن، لذا فإن من الأهمية دراسته للوقوف على تطور التفسير بالرأي، ومدى صلته بالمأثور.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الرئيسية الآتية:

- من هو أبو علي الجبائي و ما التعريف بتفسيره؟
- ما منهج الجبائي في تفسيره؟
- ما الاتجاه الكلامي الاعتزالي في تفسيره ؟

أهداف الدراسة:

- التعريف بأبي علي الجبائي وتفسيره.
- استنتاج منهجه في التفسير.
- استقراء الاتجاه الكلامي الاعتزالي عند الجبائي.

الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على دراسات كثيرة حوله سوى ما كتبه:

- خشيم، علي فهمي، الجبائيان أبو علي وأبو هاشم، رسالة الماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة 1966.

وتتكون الرسالة من ثلاثة فصول، الفصل الأول: يبحث عن حياة أبي علي الجبائي وعصره الذي عاش فيه. والفصل الثاني: بعنوان "المذهب" ويتناول أراء الجبائي في العلوم المختلفة، ثم يذكر المؤلف أراء الجبائي في الله، والكون، والإنسان، والقرآن، ومسائل أصول الفقه، والسياسة. وأمَّا الفصل الثالث، فتضمن حياة أبي هاشم الجبائي، ثم المسائل التى اختلف فيها مع أبي علي الجبائي.

- Rosalind Ward Gwynne، The 'Tafsīr' of Abū Alī al-Jubbā'ī: First Steps Toward a Reconstruction، with Texts، Translation، Biographical Introduction and Analytical Essay، Thesis (Ph. D.)، University of Washington، 1982.

تعرَّف المؤلفة بحياة الجبائي، ثم تحلل تفسيره، وجمعت في نهاية رسالتها بروايات التي أُسندت إلى الجبائي من التفاسير المختلفة.

- الجبائي، أبو علي محمد بن عبد الوهاب، تفسير أبي علي الجبائي، حضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2007.

عرَّف المؤلف بحياة الجبائي مختصرًا وبيَّن منهجه في تفسيره بإيجاز في مقدمة الكتاب، ثم جمعت بروايات التي أسندت إلى الجبائي من التفاسير والكتب المختلفة.

وتختلف دراستي عن دراسة خشيم في أنها تتناول المناهج التفسيرية المختلفة لدى الجبائي، وبيان الاتجاه الكلامي الاعتزالي في تفسيره، وبالتالي فإن هذه الدراسة هي أشمل وأكثر تعلقا بالتفسير والدراسات القرآنية.

أما الدراسة الثانية فتهدف إلى جمع روايات الجبائي من الكتب المختلفة، وتحليلها، تختلف هذه الدراسة عنها في أنها رجعت إلى مصادر أشمل، وبينت منهج الجبائي في التفسير، والاتجاه الكلامي الاعتزالي عنده.

وتختلف دراستي عن تأليف خضر نبها في أنها تتناول المناهج التفسيرية لدى الجبائي بالتفصيل، إضافة إلى ذلك أنها تبين الاتجاه الكلامي الاعتزالي في تفسيره.

منهج البحث:

استخدمت في هذه الدراسة المناهج الآتية:

المنهج الاستقرائي: حيث قمت تتبع الروايات التفسيرية عن الجبائي من الكتاب الذي جمعها حضر نبها ومن كتب التفسير، واستخراج ما يتصل منها بمنهجه، والاتجاه الكلامي الاعتزالي فيه.

المنهج التحليلي: القائم على تحليل منهج الجبائي في التفسير، واتجاهه الكلامي الاعتزالي.

ومن الجدير بالذكر أنّي سأقتصر على مناقشة بعض آراء الجبائي و ليس جميعه مراعاة لحجم البحث، واكتفاء بالمثال عن الاستقصاء.

هيكل الدراسة:

اقتضى البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى تمهيد وفصلين وخاتمة، على النحو الآتي:

الفصل التمهيدي: التعريف بأبي علي الجبائي وتفسيره

الفصل التمهيدي: التعريف بأبي علي الجبائي وتفسيره

المبحث الأول: التعريف بأبي علي الجبائي

المطلب الأول: عصره

أولا: الحياة السياسية

عاش أبو علي الجبائي في العصر العباسي الثاني في الفترة ما بين 235 إلى 303 هـ، حيث شهد هذا العصر بداية ضعف العباسيين، وقد حاول كثير من الخلفاء إعادة الدولة العباسية إلى ما كانت عليه من قوة ومجد.[1] وعاصر تسعة خلفاء هم: المتوكل بن المعتصم، والمنتصر بالله ابن المتوكل، والمستعين بالله ابن المعتصم، والمعتز بن المتوكل، المهتدي بالله ابن الواثق، والمعتمد على الله ابن المتوكل، والمعتضد بالله بن الموفق، والمكتفي بالله بن المعتضد، والمقتدر بالله بن المعتضد. وأيضا "ظهرت في هذه الفترة بعض الدويلات الصغيرة المتنافسة، كالسامانية[2]، والبويهية[3]، والحمدانية[4]."[5]

وظهرت حركة الزنج في سنة 255 هـ، ودامت أكثر من أربع عشرة سنة بين البصرة وواسط، وكان الزنوج - وهم طائفة من عبيد إفريقية – "لا يتقاضون من الأجر شيئا، بل كانوا يقتاتون بقليل من الدقيق والتمر والسويق؛ مما جعلهم إزاء هذه الحالة الاقتصادية والحالة الاجتماعية السيئة على أتم الاستعداد للخروج على ولاة الأمر فيهم".[6] وبذلت الخلافة العباسية مالا عظيما لتجهيز الجيوش، فكانت أطول ثورات العصر العباسي حتى كاد الزنوج يهددون بغداد.[7]

---

[1] انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية، ط.14، بيروت، 1996، جـ3 – ص7.

[2] السامانيون: سلالة إيرانية حكمت في بلاد ما وراء النهر أجزاء من فارس وأفغانستان ما بين 261-389هـ.

[3] البويهيون: الدولة الشيعية حكمت في غرب إيران والعراق ما بين 320-447هـ.

[4] الحمدانيون: دولة عربية شيعية حكمت حلب والموصل وامتد نفوذها إلى بلدان وقرى الفرات والشام ما بين277-394هـ.

[5] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ3 – ص7.

[6] المصدر نفسه، جـ3 – ص216.

[7] انظر: أحمد علبي، ثورة العبيد في الإسلام، دار الآداب، ط.1، بيروت، 1985، ص15.

وقام العباسيون في هذه الفترة بتوظيف الأتراك في الشؤون العسكرية، فكان "الخليفة المعتصم أول الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالأتراك وأسندوا إليهم مناصب الدولة"[1]؛ لأن الفرس، وبعض العرب كانوا يشكّلون عنصر تهديد للدولة، وكان الخليفة قادرا على الاعتماد على الأتراك فقط. وعلى مدى الأيام زاد نفوذ الأتراك، ولعبوا دوراً فاعلاً في أمور الدولة، وتسلطوا على السلطة في اختيار الخليفة، أو تبديله، أو خلعه.[2]

"وازدهرت تعاليم المعتزلة في العصر العباسي الأول، حيث وافقهم الخليفة المأمون على القول بخلق القرآن، واستخدم نفوذه في سبيل إقرار هذه العقيدة في أذهان الناس".[3] وبقي الأمر كذلك حتى تولى الخلافة المتوكل، فمنع النقاش في القضايا الجدلية مثل قضية خلق القرآن، "وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث، وإظهار مذهب السنة والجماعة".[4]

ثانيا: الحياة العلمية

يُعدّ القرن الثالث الهجري أزهى العصور العلمية الإسلامية، فقد اعتنى العباسيون بتدوين العلم ونشره، وتميّزت هذه الفترة بالتدوين والتأليف والتصنيف في العلوم الشرعية.[5]

وكان من أبرز العلماء الذين اشتهروا في هذه الفترة: الإمام أحمد بن حنبل (241هـ)، والإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (255هـ)، والإمام أبو عبد الله البخاري (256هـ)، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري (261هـ)، والإمام أبو داود سليمان بن الأشعب (275هـ)، وأبو محمد بن قتيبة الدينوري (276هـ)، والإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (297هـ)، والإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (303هـ).[6] وكان أشهر أقران الجبائي هو ابن جرير الطبري (235-310هـ).

كما كان العصر العباسي الأول عصر أئمة المذاهب الفقهية الاربعة، "وقد ظهر في العصر العباسي الثاني بعض أعلام الفقهاء الذين كونوا لهم مذاهب في الفقه، ولكن لم يقدر لها الاستقرار،

---

[1] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ3 – ص7.

[2] انظر: Yildiz، Hakki Dursun، *Abbasiler*، DIA، 1998، جـ1/ ص34-35.

[3] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ3 – ص220.

[4] المصدر نفسه، جـ3 – ص10.

[5] انظر: الشبل، علي بن عبد العزيز، امام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري سيرته - عقيدته – ومؤلفاته، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 2004، ص9.

[6] انظر: المصدر نفسه، ص10-11.

والذيوع أمام هذه المذاهب الأربعة. ومن هؤلاء الفقهاء أبو سليمان داود بن علي بن خلف القاشاني"[1]، وابن جرير الطبري.

وإذا أردنا أن نتكلم عن المعزلة في هذه الفترة، نجد أنهم اتخذوا شكلا جديدا في العصر العباسي الثاني، حيث انتشر متأثراً بفلسفة أرسطو، "كما انقسم، بطبيعة الحال، إلى أقسام تتفق جميعها في نقاط معينة"[2]، ثم أخذ المذهب في الضعف منذ بداية العصر العباسي الثاني، حيث فقَدَ دعم السياسيين، ثم ظهرت جماعة من علماء الكلام عارضوا المعتزلة مثل مذهب الكرامية، ومذهب أهل السنة، وبخاصة على يد الإمام الأشعري.[3]

وظهرت تفاسير المعتزلة في العصر العباسي الثاني، حيث نرى كثيراً من التفاسير التي ألّفها علماء المعتزلة مثل أبي بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصمّ (240هـ)، وأبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي (319هـ)، وأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (322هـ)، ولكن فقدت هذه التفاسير، ولم تصل أي منها إلينا.

"ومن المسائل التى شغلت أفكار المسلمين في هذه الفترة 'التصوف'، ذلك أن كثيراً من المسلمين الذين اشتهروا بالورع، والتقوى لم يجدوا في علم الكلام ما يقنع نفوسهم بحب الله سبحانه وتعالى، فرأوا أن يتقربوا إليه عن طريق الزهد، والتقشف، وفناء الذات في حبه تعالى، ومن ثم سمّوا 'المتصوفون'."[4] غير أن هناك جماعة من المتصوفين غلوا في تصوفهم، وخالفوا مذهب جمهور المسلمين.[5]

المطلب الثاني: حياته

أولا: اسمه ونسبه

هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان الجبائي، وأبان هو مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه.[6]

---

[1] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ3 – ص354.

[2] المصدر نفسه، جـ3-ص221.

[3] انظر: المصدر نفسه، جـ3 – ص225.

[4] المصدر نفسه، جـ3 – ص227.

[5] انظر: المصدر نفسه، جـ3 – ص231.

[6] انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط.1، 1992، بيروت، جـ13 – ص164، وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء

وورد اسمه في بعض كتب الرجال والتراجم والطبقات قصيرًا كما يأتي: "أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي".[1]

وذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ الجبائي نسبة إلى جُبّى من أعمال البصرة،[2] بينما يرى ياقوت الحمويّ أنّها بلد أو كورة من عمل خوزستان،[3] حيث اعترض على نسبة جُبّى إلى البصرة فقال: "إن من الناس من لا خبرة لهم جعلوا جُبّى من أعمال البصرة، وليس الأمر كذلك، إن جُبّى التي ينسب اليها أبو علي الجبائي المتكلم المعتزلي من عمل خوزستان".[4]

ثانيا: مولده ونشأته

ولد أبو علي الجبائي في جُبّى سنة خمس وثلاثين ومائتين للهجرة.[5]

وإن خوزستان تقع اليوم جنوب غرب إيران.[6] ويصور ابن حوقل خوزستان القديمة بكثرة المياه الجارية، وزراعة النخل، والحنطة، والشعير، والفول، والأرز[7]. ويصف لسانهم ومذاهبهم بما يأتي: "وأمّا لسانهم فإنّ عامّتهم يتكلّمون بالفارسيّة والعربيّة غير أنّ لهم لسانا آخر خوزيّا ليس بعبرانىّ ولا سريانىّ ولا فارسىّ... وأمّا ما ينتحلونه من الديانات والمذاهب فالغالب عليهم الاعتزال."[8] وليس لدينا أية معلومات عن اللغات الأخرى غير اللغة العربية التي يعرفها الجبائي، لكن يمكننا القول بأنَّ ولادة الجبائي في بلدٍ أغلب سكانه معتزلة، الأمر الذي كان له أثر في حياته الفكرية.

أبناء الزمان، دار صادر، ط.1، 1971، بيروت، جـ.4 – ص267، والسمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط.1، 1962، حيدر آباد، جـ.3 – ص187.

[1] علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي، فرق وطبقات المعتزلة، دار المطبوعات الجامعية، 1972، الإسكندرية، ص85، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، البداية والنهاية، دار الفكر، 1986، جـ.11 – ص125، والزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم، ط.15، 2002، جـ.6 – ص256.

[2] انظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، جـ.1 – ص255، والسمعاني، الأنساب، جـ.3 – ص186، والصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، جـ.18 – ص264، وابن كثير، البداية والنهاية، جـ.11 – ص125.

[3] ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط.2، بيروت، 1995، جـ.2 – ص97، و Yavuz، Yusuf Sevki، *Ebu Ali el-Cubbai*، DIA، 1993، جـ.8– ص100.

[4] ياقوت، معجم البلدان، ج.2 – ص97.

[5] انظر: ابن الجوزي، المنتظم جـ.13 - 164، وابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ.4 – ص269، وابن كثير، البداية والنهاية، جـ.11 – ص125، والزركلي، الاعلام، جـ.6 – ص256.

[6] انظر: Kologlu، Orhan Sener، Cübbailer’in Kelam Sistemi، Uludag Universitesi Sosyal Bilimler Enstitusu، Temel Islam Bilimleri Ana Bilim Dalı، Kelam bilim dalı، Basılmış Doktora Tezi، ص24.

[7] انظر: ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938، جـ.2 – 253/252.

[8] المصدر نفسه، جـ.2 – ص254.

ولا تمدنا الكتب بمعلومات وافية عن حياة أبي علي في جُبّى، ولكن الذكر الوحيد لدينا عن حياته فيها ما يرويه عن نفسه قائلاً: "كنت وأنا صبي، فدخلت الشريعة في نهر الحوزة فحملني الماء فخلصوني، فاليوم أتمنى وأقول: ليتني كنت مت في ذلك اليوم".[1]

وما نعرف عن حياة الجبائي بشكل عام أنه رحل إلى البصرة من جُبّى وهو غلام، ثم انتقل إلى بغداد وهو صغير السن، وأخيرًا استقر في العسكر[2] التي توفي فيها.

ثالثا: رحلاته

انتقل الجبائي إلى البصرة من جُبّى وهو غلام، وتتلمذ لأبي يعقوب يوسف بن عبدالله الشحام المتوفى أواخر القرن الثالث الهجري، حيث كان يرسله إلى حلقات المتكلمين الآخرين،[3] وكان الجبائي "يحفظ جميع ما يدرس في حلقهم، ثم يحكيه للشحام".[4] يدل هذا على اعتماد الشحام على أهلية الجبائي العلمية وقدرته فيه.[5]

وكان أبو علي مع حداثة سنه معروفًا بقوة الجدل،[6] وممّا يُروى في هذا الإطار تلك المناظرة التي جرت بينه وبين صقر من علماء المجبرة: "اجتمع جماعة المناظرة فانتظروا رجلاً منهم، فلم يحضر، فقال بعض أهل المجلس: أليس هنا من يتكلم؟ وقد حضر من علماء المجبرة رجل يقال له صقر فإذا غلام أبيض الوجه زج نفسه في صدر صقر، وقال له: أسألك؟ فنظر إليه الحاضرون وتعجبوا من جرأته مع صغر سنه، فقال له: سل، فقال: هل الله تعالى يفعل العدل؟ قال: نعم، قال: أفتسميه بفعله العدل عادلا؟ قال: نعم، قال: فهل يفعل الجور؟ قال: نعم، قال: أفتسميه جائرا؟ قال:لا، قال: فيلزم أن لا تسميه بفعله العدل عادلا فانقطع صقر وجعل الناس يسألون: من هذا الصبي؟ فقيل: هو غلام من جباءة."[7]

---

[1] فؤاد سيد، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، الدار التونسية، ط.1، 1974، تونس، ص295.

[2] هي عسكر مكرم في بعض المصادر، وبلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بني جعونة صاحب الحجاج وهو أول من اختطها من العرب. (معجم البلدان).

[3] انظر: فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص287، وابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص80.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص287.

[5] انظر: Kologlu، Cübbailer’in Kelam Sistemi، ص25.

[6] انظر: ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص80، والنشار، محمد علي ، فرق وطبقات المعتزلة، ص85.

[7] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص287، وابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص80، والنشار، محمد علي، فرق وطبقات المعتزلة، ص85.

وقد أصبح الجبائي شيخ معتزلة البصرة بعد وفاة شيخه الشحام،[1] في سنة 267 هـ،[2] ثم رحل من البصرة إلى بغداد[3]، ولعلّ سبب مغادرة الجبائي البصرة هو ثورة الزنج[4]، حيث استولوا عليها سنة 257 هـ، وقتلوا كثيرًا من أهلها، ودمروا مسجدها العظيم، ومن ثم اضطر أهل البصرة إلى ترك بلادهم.[5]

لا تمدنا الكتب بمعلومات كثيرة عن حياة أبي علي في بغداد، غير أنه اجتمع مع الاصفهاني[6] من متكلمي الشيعة، وناقشه في مسألة الإمامة،[7] وأن أبا القاسم البلخي درّس عند الجبائي سبعة عشر يوما في بغداد.[8]

ثم انتقل الجبائي من بغداد إلى العسكر من إقليم خوزستان، واستقر فيها، واستقبله أهلها، ويذكر أبو عمر الباهلي وصول أبي علي إلى العسكر، فيقول: "إن الخبر اتصل بنا بقدوم أبي علي العسكر، فاجتمع أصحابنا، فعملنا مسألة لنجربه بها، فلما قدم سألناه عنها، فتكلم بكلمة واحدة، أسقط جميع ما رويناه، وكان أبو علي يجيب عن السؤال بكلمة واحدة، فلا يكون إلا السكوت."[9] ويدل استقبال النّاس للجبائي على مكانته بينهم، وشهرته في عصره.

وحاول أن يجمع بين المعتزلة والشيعة بالعسكر، وعلّ ذلك لكونهما يتفقان في التوحيد والعدل، وخلافهما في الإمامة فقط. إلا أنه لم يصل إلى نتيجة؛ لأن تلميذه محمد بن عمر الصيمري صده عن هذا.[10]

---

[1] انظر: Yavuz، DIA، جـ8 – ص100.

[2] انظر: صبحي، أحمد محمد، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، دار النهضة العربية، ط.5، بيروت، 1985، جـ1 – ص289.

[3] انظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي، الفهرست، دار المعرفة، ط.2، بيروت، 1997، ص213.

[4] انظر: Kologlu، Cübbailer'in Kelam Sistemi، ص26.

[5] انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ3 – ص218.

[6] وهو هشام الجوالقي أبو ملك الحضرمي بن مُمَلِّك الأصبحاني من متكلمي الشيعة، (الفهرست).

[7] انظر: ابن النديم، الفهرست، ص220.

[8] انظر: فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص290.

[9] المصدر نفسه، ص289.

[10] انظر: المصدر نفسه، ص291.

وخلال هذه الفترة، سمع الجبائي كرامة الحلاج منصور، ولم يقبلها. ونقل ابن الجوزي حادثة جرت بينهما، فيقول: "كان الحلاج ويخرج للناس بالأهواز وكورها من الأطعمة والأشربة في غير موسمها، والدراهم التي سماها دراهم القدرة، حُدِّثَ أبو علي الجبائي بذلك، فقال لهم: هذه الأشياء محفوظة في منازل تمكن الحيل فيها، ولكن أدخلوه بيتا من بيوتكم لا من منزله، وكلفوه أن يخرج منه خرزتين سوداء، فإن فعل فصدقوه[1]، فبلغ الحلاج قول الجبائي، فترك الأهواز".[2]

كان أبو علي عالما بعلم النجوم[3] وله كتب يبيّن فيها بطلان مذاهب المنجمين، كما صُنِّفت أيضا كتب للرد على أبي علي الجبائي.[4] وأنه يرى جواز العمل بالنجوم من دون اعتقاد تأثير لها[5]، ويشرح سبب قوله بهذا الرأي صاحبه عبد الله بن عباس الرامهرمزي قائلا: "لو أخبرنا مخبر ونحن في طريق بأن فيه سبعاً، أليس أن يجب في الحكم علينا أن لا نسلك ذلك الطريق إذا قدرنا على سلوك غيره، وإن كان المخبر ممن يجوز عليه الكذب، فقلت: نعم، قال: فهذا مثله، يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادات بأن تكون الكواكب إذا نزلت هذه المواضع حدث كذا"[6].

رابعا: أسرته

إن المؤرخين لم يذكروا من أسرته إلا ابنه، وابنته، وأمَّا ابنه فهو:

"أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران الجبائي، وولد سنة 275هـ، ودرس على أبيه، وعلماء عصره، وكان من المشهورين في علم الكلام، واتبعته فرقة يطلق عليها الهاشمية من المعتزلة، ومن مؤلفاته الجامع الكبير، والجامع الصغير، والأبواب الكبير، والأبواب الصغير، والعسكريات، وكتاب الانسان، وغيرها".[7]

وأمَّا ابنته فلم تذكر كتب الطبقات عنها معلومات كثيرة، غير أنها عالمة مثل أبيها وأخيها، حيث "بلغت في العلم مبلغا، وسألت أباها عن مسائل، فأجاب عنها وكانت داعية النساء انتُفع بها في تلك

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، جـ.13 – ص203.

[2] المصدر نفسه، جـ.13 – ص203.

[3] انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، المطبعة الحيدرية، النجف، 1948، ص154.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص121.

[5] انظر: ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص98.

[6] ابن طاووس، فرج المهموم، ص156-157.

[7] Ilhan، Avni، *Ebu Hasim el-Cubbai*، DIA، 1994 ، جـ.10 – ص146-147.

الديار."[1] ونفهم أنها كانت تحب أخاها كثيرًا، إذ عندما رحل أبو هاشم إلى بغداد، لم تطب لها مفارقة أخيها.[2]

ومن الجدير بالذكر أنّ الجبائي تزوج بأم أبي الحسن الأشعري بعد وفاة والده.[3]

خامسا: صفاته

"كان أبو علي من أحسن الناس وجهًا وتواضعًا، وأكثرهم موعظة"[4]، وعندما يتكلم إلى الناس، كان يذكرهم الموت، وتتحدر دموعه على خديه.[5]

كما كان متواضعًا في حياته، وكان يتوضأ بماء مسخن أو بارد بعد أن يستيقظ من نومه، ويصلي قليلا، ثم كان يجلس ويفكر فيما يريد أن يمليه، وبعد ذلك كان يصلي صلاة الضحى، ويُقبِل على الناس، ثم يدخل داره قليلا ويرجع إلى المسجد.[6]

سادسا: وفاته

توفي أبو علي الجبائي في شعبان[7] سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة عن ثمان وستين سنة[8] في العسكر، وحيث أوصى أبا هاشم أن يدفنه في العسكر وأن لا يُخرجه منها، فلما مات صلى عليه أهل العسكر، ثم خلافا لوصية الجبائي حمله أبو هاشم إلى جُبّى، "وكان فيها مقبرة دفنت فيها أم أبي علي، وأم أبي هاشم في ناحية بستان أبي علي".[9]

ولما أُحضرت جنازته إلي جُبّى "قال أصحابه: مَن يلقنه التوبة، فلم يتجاسر أحد على ذلك إعظاماً له، فقال أصغرهم سناً: أنا ألقنه، وتقدم وقرأ: 'وَتُوبُوا إِلى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ'،[10] ففتح

---

[1] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص330، وابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص109.

[2] انظر: فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص330.

[3] انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ.4 – ص55.

[4] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص291.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص291.

[6] انظر: فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص291-292.

[7] انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ.4 – ص269، والسمعاني، الأنساب، جـ.3 – ص187.

[8] انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط.3، عمان، 1985، جـ.14 – ص183، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين العشرين، مكتبة وهبة، ط.1، القاهرة، 1396، جـ.1 – ص103.

[9] انظر: ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص84-85.

[10] سورة النور، الآية 31.

أبو علي عينيه، وقال: اللهم إني تائب إليك من كل قول نصرته كان الصواب عندك غيره، واشتُبه عليّ أمره، فقال من حضره: لوكان عليه ذنب غير هذا لذكره"[1]، ولا يخفى ما في هذه الرواية من مبالغة.

سابعا: مكانته العلمية

كان أبو علي الجبائي واحداً من أشهر العلماء في زمانه. و"هو الذي سهل علم الكلام ويسره"[2] وذلل مسائله، وكان معروفًا بقوة الجدل على حداثة سنه، وبجانب هذه الميزات كان فقيهًا ورعًا زاهدًا نبيلًا.[3]

قال أبو الحسن وكان من تلامذة الجبائي: "إن العلم يحتاج إلى أربعة أشياء: كفاية، وعناية، وذكاء، ومعلم. واجتمع لأبي علي ذلك، فإنه كان في كفاية من مال أبيه، وكان من أحرص الناس على التعلم، وأذكاهم، ولزم الشحام".[4]

واشترك الجبائي في مناظرات كثيرة لكونه متكلماً، ومن أشهر مناظراته ما كان بينه وبين أبي الحسن الأشعري، ذلك أن أبا الحسن الأشعري سأل أستاذه أبا علي الجبائي عن "ثلاثة إخوة: أحدهم كان مؤمناً براً تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً، فماتوا، فكيف حالهم، فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة، فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا؛ لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة، فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني، فانقطع الجبائي."[5] إن هذه المناظرة تبين لنا أن قضية الأصلح عند المعتزلة معضلة.

---

[1] المقدسي، أبو الحسن الهمذاني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، تكملة تاريخ الطبري، المطبعة الكاثوليكية، ط.1، بيروت، 1958، جـ1 – ص17.

[2] ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص80.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص80.

[4] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص295.

[5] ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ4 – ص269.

ويمكن القول بان الجبائي كان فقيهًا يفتي في المسجد، كما كان متكلمًا. يحكي تلميذه رزق الله[1] عنه أنه كان "يقعد في المسجد، فتجيئه المرأة وتسأله عن المسائل، فيجيب عنها"[2]، وأن امرأة أرادت أن تسأل عن الحيض فخجلت، وقد عرف أبو علي ذلك، وحكى لأصحابه، ثم خرج إليها وأفتاها.[3]

ومما يذكر أنّه كان قويّ الحفظ، وكان يحفظ من الأشعار الكثير، كما يبحث في المصادر أنّه لم ينظر في كتاب، إلا يومًا واحدًا نظر في زيج[4] الخوارزمي، ونظر يومًا آخر في جزء من الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني[5]، ولم تشر المصادر إلى أيّة معلومات عن مذهبه الفقهي.

ثامنا: شيوخه

لم تذكر كتب الطبقات من شيوخ الجبائي إلا أبا يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري مفسر معتزلي. "عاش 80 سنة، وانتهت إليه رئاسة المعتزلة بالبصرة في أيامه"[6]، وأخذ عن أبي الهذيل العلاف، ومن مؤلفاته كتاب الاستطاعة على المجبرة، وكتاب الإرادة، وكتاب كان ويكون، وكتاب دلالة الأعراض، وغير ذلك.[7]

تاسعا: تلامذته

تتلمذ على أبي علي الجبائي العديد من التلاميذ، إلا أن أشهرهما دون شك هما؛

- ابنه أبو هاشم الجبائي.[8]
- أبو الحسن الأشعري:

وهو "أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[9]

---

[1] هو من تلاميذ الجبائي، ستأتي ترجمته في صفحة 18.

[2] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص318.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص318.

[4] زيج فلكي وجمعها أزياج. وهي جداول فلكية خاصة تبين مواقع النجوم، وحركتها عبر الفصول، والسنين بالحسابات الرياضية.

[5] انظر: فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص290.

[6] الزركلي، الأعلام، جـ8 – ص239.

[7] انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ10 – ص552-553.

[8] سبقت ترجمته في صفحة 13.

[9] ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ1 - ص326

اليماني البصري. ولد بالبصرة عام 260هـ، وتوفّي ببغداد عام 324هـ، له مصنفات كثيرة تفوق ثلاثمائة مصنف منها: الردّ على المجسمة، ومقالات الإسلاميين، ومقالات الملحدين، والإبانة عن أصول الديانة، وخلق الأعمال، وإمامة الصديق، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، وغيرها.[1]

- ومن تلامذته: محمد بن زيد الواسطي؛

حيث كان "أحد المتكلمين على مذهب المعتزلة، أخذ عَن أبي علي الجبائي، وصنف كتاب إعجاز القرآن وكتاب الإمامة، ومات بعد أبي علي بأربع سنين، وكان حنفيا."[2]

- أبو عبد الله محمد بن عمر الصيمري:

كان قبل أن يرد إلى أبي علي مختلطا بمتكلمي بغداد، "ثم اتفق وروده إلى أبي علي، فقُبل أحسن قبول وأقام عنده."[3] وهو "شيخ المعتزلة، العلامة، صاحب المصنفات. في معتزلة البصريين. أخذ عن أبي علي الجبائي، وانتهت إليه رئاسة الكلام بعد الجبائي، وكان شيخًا مسنًا ذكيًا، وله كتاب كبير في الرد على ابن الراوندي، وكتاب المسائل، وغير ذلك."[4]

- أبو الحسن الإسفرائيني:

"وهو أحد شيوخ العسكر ورؤسائها، وله كتب صنفها في الكلام والتفسير والحديث."[5]

- أبو الحسن بن الحباب:

وهو "المعروف بابن السقطي، وكان أحد مشايخ العسكر القائلين بمذهب أبي علي المتعصبين له."[6]

- أبو محمد عبدالله بن العباس الرامهرمزي:

"هو ممن له الرئاسة العظيمة، والاخلاق العجيبة في التواضع وغيره"[1]، وما من أخص أصحاب الجبائي يستملىء منه، وكان يجيب على كثير من المسائل التي ترد على ابن علي.[2]

---

[1] انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ1 - ص326، والزركلي، الأعلام، جـ4 – ص263، وابن كثير، البداية والنهاية، جـ11 – ص187.

[2] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002، جـ7 – ص147.

[3] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص308-309.

[4] الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ14 – ص480.

[5] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص309.

[6] المصدر نفسه، ص312.

- أبو العباس بن رزق الله:

"قرأ على أبي علي أولا، ثم على أبي هاشم، وبلغ مبلغًا عظيمًا."[3]

- أبو عمر سعيد بن محمد الباهلي:

"كان أوحد زمانه في علم الكلام، والأخبار، والمواعظ، والشعر، وأيام الناس. أخذ عن أبي علي ولازمه كل عمره لا يفارقه الا ما يقضي حق أهله بالعسكر ثم يرجع، وعامة كلام أبي علي بخط أبي عمر واستملائه، وكان لا يخفى عليه دقيق الكلام وجليله حفظه من لسان أبي علي... وتوفي في بغداد سنة ثلاث مائة".[4]

- أبو الحسن بن فرزويه:

"وكان من الدين بمكان وكثُر الانتفاع به في البصرة وكان يدرس هناك وكثُر أصحابه، وكان يفضل عليّا، وله حظ وافر في الأدب والشعر ومعرفة الناس، وأخذ عن أبي علي وكان يميل إلى هاشم."[5]

- أبو بكر بن حرب التستري:

"وكان من أجلاء أصحاب أبي علي، وله كتاب "مسائل"، وأجاب عنها الجبائي".[6]

- أبو سعيد الأُشروسني:

"وهو أحد الخراسانيين الثلاثة[7]، واستملى من أبي علي الكتب، وله "مسائل"، كتبها إلى أبي علي، فصادف ورودها موته، فأجاب عنها أبو هاشم بجوابين أولا ثم آخرا."[8]

---

[1] المصدر نفسه، ص312.

[2] انظر: ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص99.

[3] ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص99.

[4] المصدر نفسه، ص97.

[5] المصدر نفسه، ص100.

[6] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص318.

[7] هم أبو سعيد الأشروسني، وأبو الفضل الكشي، وأبو الفضل الخجندي.

[8] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص318.

- أبو الفضل الكشّي:

"لزم أبا علي وله إليه "مسائل"، وصنف أيضًا كتابًا حسنًا في الأبواب الثلاثة في المخلوق والاستطاعة والإرادة جمع فيها ما لا يكاد يرى في غيرها."[1]

- أبو الفضل الخُجندي:

"إنه استملى كتاب "اللطيف" لأبي علي وانفرد به، وبخل به على الأصحاب، فجاؤوا الى أبي علي وشكوا اليه، فأملى عليهم ذلك مرة أخرى"[2].

عاشرًا: مؤلفاته

يعد أبو علي الجبائي واحدًا من أهم علماء المعتزلة، حيث إنه "لم يتفق لأحد من إذعان سائر طبقات المعتزلة له بالتقدم والرياسة بعد أبي الهذيل"[3] العلاف، فقد صنّف في مذهب الاعتزال مؤلفات كثيرة. قال القاضي عبد الجبار: "إنه ألف نحو مائة ألف وخمسين ألف ورقة"،[4] لكن لم تصل الينا أي من هذه المصنفات.

ومن بعض مؤلفاته التي ذكرتها كتب الطبقات: كتاب الأصول، وكتاب النهي عن المنكر، وكتاب الأسماء والصفات، وكتاب التعديل والتجويز، وكتاب المخلوق، وكتاب نقض قضيب الذهب، وكتاب نقض التاج، وكتاب نقض الزمرد، وكتاب نقض الدامغ، وكتاب النقض على ابن الراوندي، وكتاب الردّ على ابن كلاب، وكتاب من يكفر ومن لا يكفر، وكتاب الإمامة، وكتاب الأمر بالمعروف، وكتاب الأصلاح، وكتاب التولد، وكتاب الإنسان، وكتاب اللطيف، وكتاب الرد على النصارى، وكتاب نقض نعت الحكمة، وكتاب الاجتهاد، وكتاب شرح الحديث، وكتاب الرد على المنجمين، وكتاب متشابه القرآن، وكتاب التفسير الكبير[5]

---

[1] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص319.

[2] المصدر نفسه، ص319.

[3] ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص80.

[4] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص290.

[5] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ.13 – 109/108، والذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ.14 – ص184، وابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص319، وابن النديم، الفهرست، ص56-58.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير أبي علي الجبائي

المطلب الأول: وصف عام لتفسيره

تذكر العديد من المصادر أن للجبائي تفسيرًا في القرآن الكريم،[1] لكن لم يصل إلينا هذا التفسير ولا حتى جزء منه. وهذا الأثر المحزن ليس مخصوصاً خاصّةً بتفسير الجبائي فقط، بل غاب كثير من تراثنا الفكري أسباب مختلفة. ومن الواضح أن تفسير الجبائي كان تفسيراً كبيراً؛ لأنه وُصِف بأنه "عشرة مجلدات، وفي كل مجلد جزءان".[2]

وعلى الرغم من أن تفسير الجبائي لم يصل إلينا بعينه، يمكن أن نجد بعض الأقوال من تفسيره في التفاسير أو الكتب الأخرى، فمنها مفاتيح الغيب للرازي، والتبيان الجامع لعلوم القرآن للطوسي، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، وسعد السعود للنفوس لابن طاووس، والتهذيب للجشمي، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والمغني للقاضي عبد الجبار. وقام الدكتور خضر نبها بجمع الأقوال التفسيرية التي أسندت إلى الجبائي في هذه الكتب باسم "تفسير أبي علي الجبائي".

بينما الطوسي، والطبرسي نقلا أقوال الجبائي من تفسيره مختصراً، والرازي توسع بالنقل عنه. ونجد أن ابن طاووس ذكر دائما تفسير الجبائي بعينه، حتى إنه عندما ينقل عن تفسير الجبائي بيَّن الجزء، والصفحة، والوجهة المنقول عنها، على سبيل المثال ذكر قبل نقله عن تفسير الجبائي: "فصل: فيما نذكره من الجزء الثاني من المجلد الأول من تفسير أبي علي الجبائي، من الوجهة الأوّلة، من القائمة الخامسة، من الكرّاس الثاني، من الجزء الثاني المذكور بلفظه"[3].

أما الرازي فتوسع في نقده على الجبائي، فناقشه ورد عليه بشكل مفصل، وعلى الرغم من معارضته الجبائي إلا أننا نراه يوافق أحيانًا الجبائي في كلامه، فمثلا يقول بعد ذكر قول الجبائي "وهذا

---

[1] انظر: السمعاني، الأنساب، جـ2 – ص17، والسيوطي، طبقات المفسرين، ص103، وابن كثير، البداية والنهاية، والداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ1-ص307، وابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص57، وابن النديم، الفهرست.

[2] ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد، سعد السعود للنفوس، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، قوم، 1422، ص252.

[3] المصدر نفسه، ص259.

استدلال لطيف في هذه المسألة"[1]، أو"وهو مختار عندنا"[2]. وأيضًا نجد أنه كان ينقل أحيانًا كلام الجبائي ثم يعلق عليه بقوله "هذا تمام كلام أبي علي الجبائي في تفسيره"[3].

وأوردت المصادر سبب إملاء الجبائي تفسيره، ونُقِل أنه بدأ بكتابة تفسيره بناء على طلب تلاميذه، فأملى تفسير سورة الفاتحة في يوم واحد، ثم كتب المقدمة وتفسير السور الأخرى.[4]

ونفهم من كلام القاضي عبد الجبار: "وقد بيّن شيخنا أبو علي رحمه الله في مقدمة التفسير"[5] أن لتفسير الجبائي مقدمة، غير أنها غير موجودة كاملةً كما تفسيره ولا يوجد إلا الجزء القليل الذي نقل عنها القاضي في كتابه المغني.

ونرى في مرويات القاضي أن لتفسير الجبائي مقدمة واسعة ومفصلة يبحث فيها بعض موضوعات علوم القرآن، وعلم البلاغة، فعلى سبيل المثال تناول الجبائي في مقدمته الإشكالات التي توجد في روايات الصحابة في تثبيت بعض السور وحلها،[6] كما تطرق إلى التكرار والتوكيد من قضايا علم البلاغة.[7]

وإذا أردنا أن نبحث عن طريقة الجبائي في عرض المسائل، فقد يقال: إنها تتفاوت في بحث المسائل العلمية وتحقيقها حسب طبيعة المسألة، فأحيانا كان يفصل، وأحيانا يوجز، إلا أنه كان التوسع في شرح الآيات التي تتعلق بالقضايا العقدية.

ونعرف أن الإمام أبا الحسن الأشعري كتب التفسير مسمى بـ"تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان" معترضاً على أبي علي، والبلخي لكن أيضاً لم نطلع على شيء من هذا التفسير للأسف، ونقل ابن عساكر مقدمة تفسير الأشعرى أنه قال: "ورأيت الجبائي ألّف في تفسير القرآن

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ6-ص52.

[2] المصدر نفسه، جـ7-ص153.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ6-ص6.

[4] فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص292.

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص61.

[6] انظر: المصدر نفسه، ص 61-62.

[7] انظر: المصدر نفسه، ص62-66.

كتابا أوّله على خلاف ما أنزل الله عز وجل، وعلى لغة أهل قريته المعروفة بجبى، وليس من أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وما روى في كتابه حرفاً واحداً عن أحد من المفسرين"[1].

ونرى أن الأشعري انتقد تفسير الجبائي في لغته ومصادره، لكن يجب أن نقول بأن اقتباسات المفسرين الواسعة من تفسير الجبائي أضعفت انتقاد الأشعري فيما يتعلق باللغة؛ لأن ليس من الممكن نقل المفسر قول الجبائي بدون فهم، بجانب ذلك من الجدير بالذكر أن أبا علي ولد في المدينة الناطقة باللغة الخوزية بجانب اللغة العربية واللغة الفارسية، ومن الممكن استخدامه الكلمات من اللغة الخوزية. أما نقد الأشعري في مصادر الجبائي فهو نقد غير عادل؛ لأن الجبائي اعتمد على عدد من أقوال السلف في تفسير القرآن كما سأبيِّن لاحقاً.

المطلب الثاني: مصادره في التفسير

تعد معرفة مصادر المفسر من أهم الركائز الأساسية في فهم منهجه، لا سيما أن مفسرنا متهم بعدم اعتماده على المصادر كما ذكرت آنفًا، وأيضاً هناك جانب آخر هو مذهب الجبائي الذي يعتمد على العقل، وقلة اهتمامه بالأحاديث الشريفة. بل على العكس ذلك، تبين لنا أثناء دراستنا أن الجبائي قد استعان بأقوال الصحابة والتابعين في تفسير بعض الآيات كما سنرى لاحقًا.

وقبل أن نتحدث عن مصادر الجبائي في تفسيره، يجب علينا أن نوضح أنه لا يوجد بين أيدينا أيّة معلومات مؤكدة في هذا الموضوع، ومع ذلك وصلت من خلال دراستي إلى بعض الاستنتاجات من خلال التفاسير الأخرى كالطبرسي، والطوسي أن أقوال الجبائي في تفسير بعض الآيات جاءت مطابقة مع تفسير الصحابة، أو التابعين، أو المفسرين الذين سبقوه، فعلى سبيل المثال يذكر الطبرسي في تفسير إحدى الآيات أن الجبائي اختار ما روي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس[2] رضي الله عنهما،[3] وهذه الأمثلة غير قليلة، فتدل هذه أن الجبائي استعمل في تفسيره المصادر.

---

[1] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الامام أبي الحسن الأشعري، مطبعة التوثيق، دمشق، 1347، ص138-139.

[2] هي رواية: "حدثني عليّ بن مسلم الطوسي، قال: ثنا عباد، قال: ثنا سفيان بن حبيب، عن الحكم، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، في قول الله: { لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى }... الآية، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقالت بنوإسرائيل: أنت قتلته، وكان أشدّ حباً لنا منك، وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بني إسرائيل، وتكلَّمت الملائكة بموته، حتى عرف بنوإسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم، فجعله الله أصمّ أبكم." ذكره ابن كثير في تفسيره 475/6 عن المصنف، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار 68/1، والحاكم 579/2، وعزاه السيوطي في الدر المنثور 223/5 إلى ابن المنذر وابن مردويه. (الطبري، جامع البيان، جـ.19-ص194.)

[3] انظر: الجبائي، تفسير الجبائي، ص422.

وأيضاً عندما بحث فخر الدين الرازي أصحاب الأعراف في تفسير قوله تعالى "وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ"[1]، وذكر الأقوال فيها، وقال في أحدها: "وهذا قول حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهما واختيار الفراء، وطعن الجبائي"[2]، يدل هذا الكلام أن الجبائي استعان في تفسيره المصادر.

وبعد تتبعي لتفسير الجبائي تبين لي أن المصادر التي اعتمد عليها في التفسير هي على النحو الآتي:

- **أقوال الصحابة**

إن الجبائي اعتمد عديد من أقوال الصحابة رضي الله عنهم في تفسير الآيات، فمنهم ابن عباس، وابن مسعود، ومحمد بن جعفر بن الزبير، وأم المؤمنين عائشة، ومجاهد، وعلي بن أبي طالب، والحسين بن علي، وعبيد بن عمير الليثي رضي الله عنهم.

- **أقوال التابعين**

وافق الجبائي كثيراً من أقوال التابعين رحمهم الله في اختياراته، فمنهم السدي، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ابن سيرين، وقتادة بن دعامة، ومجاهد، وعامر الشعبي، وعطاء بن أبي رباح، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي رحمهم الله.

---

[1] سورة الأعراف، الآية 46.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ14-ص73.

- **أقوال المفسرين**

إن الناظر إلى أقوال الجبائي في التفاسير الأخرى، يرى أنه وافق المفسرين الآخرين سواء المعاصرين له أو سابقيه، كما أنه اعترض في تفسير بعض الآيات عليهم، بناء على ذلك يمكن أن يقال: إنه استعان بهم في تفسيره. ومن هؤلاء المفسرين: أبو بكر الإخشيد،[1] والأخفش،[2] وأبو مسلم الاصفهاني،[3] ومقاتل بن سليمان،[4] والفراء[5].

ونجده أحياناً يتفق مع الطبري (310هـ)[6] في تفسير بعض الآيات[7]، ولكن القول أن الجبائي استعمل جامع البيان مصدرًا في تفسيره صعب؛ لأنه معاصر للطبري، ومن المحتمل أن الجبائي لم يدرك تفسير الطبري.

المطلب الثالث: علوم القرآن في تفسيره

عندما ننظر إلى تفسير الجبائي من الروايات التي وصلت إلينا نرى أنه تناول عددًا من موضوعات علوم القرآن في تفسيره، ولكن هذه الروايات غير وافرة.

الفرع الأول: أسباب النزول في تفسيره

"إن آيات كتاب الحكيم تنقسم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين: قسم نزل غير مرتبط بأسباب خاصة، وقسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة، واهتم العلماء بإفرادها بالدراسة

---

[1] "ابن الإخشيد: العلامة الأستاذ، شيخ المعتزلة أبو بكر، أحمد بن علي بن بيغجور الإخشيد صاحب التصانيف. له كتاب "نقل القرآن"، وكتاب "الإجماع "، وكتاب "اختصار تفسير محمد بن جرير"، وكتاب "المعونة في الأصول". توفي في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء)

[2] "الأخفش: إمام النحوأبو الحسن، سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، مولى بني مجاشع. أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنان سيبويه، بل أكبر. مات الأخفش سنة نيف عشرة ومائتين وقيل: سنة عشر." (الذهبي، سير أعلام النبلاء)

[3] "أبو مسلم، محمد بن بحر الأصفهاني المتوفى سنة 322 هـ (اثنتين وعشرين وثلاثمائة من الهجرة)، صنَّف تفسيراً اسمه "جامع التأويل لمحكم التنزيل" يقع في أربعة عشر مجلداً، وقيل: في عشرين مجلداً، وقد أشار إلى هذا التفسير ابن النديم في الفهرست، والسيوطي في بُغية الوعاة في طبقات النحاة." (الذهبي، التفسير والمفسرون)

[4] "مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى "تفسير مقاتل". أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، لكن كان متروكا أي كان متروك الحديث، توفي في سنة 150هـ." (الزركلي، الأعلام)

[5] "الفراء: العلامة، صاحب التصانيف أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي. مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة." (الذهبي، سير أعلام النبلاء)

[6] "محمد بن جرير: ابن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان." ومن مؤلفاته تفسير الطبري المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن، تاريخ الطبري، كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة، اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، الفصل بين القراءات. (الذهبي، سير أعلام النبلاء)

[7] انظر: تفسير الجبائي ص217-219-223.

والبيان".[1] ويُظهر في تفسير الجبائي أنه اعتمد عليها في بيان بعض الآيات، وأن طريقة ذكر أسباب نزول الآية كما يأتي:

- **ذكر إسناد الرواية**

يصرح الجبائي بأول راو في سند سبب نزول الآية أحيانا، فمن هذه الروايات ما روي عن عائشة رضي الله عنه في سبب نزول الآيتين الثالثة والرابعة من سورة النساء[2]، وعلى روايتها أن الآيتين نزلتا في اليتيمة التى تكون عند وليها "فيرغب في مالها وجمالها، ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يصدقوا لها صداق مهر مثلها."[3]

واختار الجبائي قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد في سبب نزول الآية "وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ"[4]، أنها "نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان إذا قال له: اكتب عليمًا حكيمًا، كتب غفورًا رحيمًا، وإذا قال: اكتب غفورًا رحيمًا، كتب حكيمًا، وارتد ولحق بمكة، وقال: إني أنزل مثل ما أنزل الله."[5]

---

[1] الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط.19، الرياض، 2014، ص148.

[2] هما: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا".

[3] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص149. وأخرجه البخاري في صحيحه (5092) بالفاظ مختلفة: "أنه سأل عائشةَ رضي الله عنها: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى. قالت: يا ابنَ أُختي، هذه اليتيمةُ تكونُ في حَجْرِ وليِّها، فيرغبُ في مالِها وجمالِها، ويريدُ أن ينتقِصَ صداقَها، فَنُهوا عن نِكاحِهن إلا أن يُقسطوا في إكمالِ الصَّداقِ، وأُمِروا بنكاحِ مَن سِواهُن".

[4] سورة الأنعام، الآية 93.

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص218. أخرجه الطبري في تفسيره (جـ.7-ص181) بالفاظ: "عن السدي: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أوقال أوحي إليّ ولم يوحَ إليه شيء" إلى قوله: "تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ" قال: نـزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أسلم، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فكان إذا أملى عليه: "سميعًا عليمًا"، كتب هو: "عليمًا حكيمًا"، وإذا قال: "عليمًا حكيمًا" كتب: "سميعًا عليمًا"، فشكّ وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إليّ، وإن كان الله ينـزله فقد أنـزلت مثل ما أنـزل الله" وحكم على هذه الرواية بالضعف. (سليم الهلالي، ومحمد آل نصر، الاستيعاب، جـ.1-ص149.)

وأيضا اختار قول ابن عباس في سبب نزول الآية " وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ"[1] بأن اليهود اعترضت على "تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس[2] فنزلت الآية ردًا عليهم."[3]

- **عدم ذكره مصدر الرواية أوإسنادها**

إن الجبائي عندما يذكر سبب نزول الآية، لا يبين إسناده أو مصدره غالباً، فيذكر سبب النزول بصيغة "فنزلت الآية". فعلى سبيل المثال، قال الجبائي بأن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن ربه في الدعاء على الكفار[4] فنزلت الآية "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْيَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْيُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ".[5]

ومثال آخر، اختار الجبائي قولاً في سبب نزول الآية "وإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا"[6] بأنها نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن على الناس، فقال: إنها نزلت "في قوم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم بالليل إذا تلا القرآن، وصلى عند الكعبة، وكانوا يرمونه بالحجارة، ويمنعونه من دعاء الناس إلى الدين، فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه".[7]

الفرع الثاني: الناسخ والمنسوخ في تفسيره

يُعدّ موضوع النسخ من أهم مباحث علوم القرآن، وأنه ليس متعلقًا بعلم التفسير فحسب، بل يتعلق بأصول الفقه، والحديث أيضاً، حيث اعتنى العلماء بدراسة الناسخ والمنسوخ.

وتمثل منهج الجبائي في إيراد الناسخ والمنسوخ وفق الآتي:

---

[1] سورة البقرة، الآية 115.

[2] يذكر هذه الرواية بالطريق الآخر: "وقال في رواية علي بن أبي طلحة الوالبي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة -وكان أكثر أهلها اليهود- أمره الله أن يستقبل بيت المقدس. ففرحت اليهود، فاستقبلها بضعة عشر شهرا. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم؛ فلما صرفه الله تعالى إليها ارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية" (الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1991، ص42). وأيضا يذكر برواية ابن عباس رضي الله عنه: "كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب قِبلة إبراهيم عليه السلام، وكان يدعووينظر إلى السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" (سورة البقرة:144) فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: "مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا" فأنزل الله عز وجل: "قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ" (سورة البقرة:142)، وقال: "فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ" (سورة البقرة:115)." حكم عليه بالضعف. (سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، الإستيعاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي، ط.1، 1465، جـ1 – ص64).

[3] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص79.

[4] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص138.

[5] سورة آل عمران، الآية 128.

[6] سورة الإسراء، الآية 45.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص354-355.

- **بيان حكم الآية من حيث النسخ**

اكتفى الجبائي أحيانا ببيان حكم الآية من حيث النسخ فقط، والمثال على ذلك تفسير قوله تعالى "وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا"[1]، فبدأ الجبائي تفسير هذه الآية بأنها "محكمة لا منسوخة".[2]

والمثال الثاني، أنه ذكر في تفسير قوله تعالى "قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا"[3]، أن حكم قيام الليل الذي ذكر في الآية نفل وليس فرضاً، ولأجل ذلك أنّ الآية غير منسوخة، فخفف النفل في الآية فقط.[4]

والمثال الثالث، أن الجبائي بين أولًا حكم "عقدت أيمانكم" في قوله تعالى "وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا"[5] وقال إنها غير منسوخة، ثم ذكر تأويل الآية بشكل واسع؛ لأن المفسرين اختلفوا في دلالة لفظ عقدت أيمانكم، وفي موقفهم من النسخ،[6] أما الجبائي فقال: إن تقدير الآية "ولكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم موالي ورثة فآتوهم نصيبهم، أي فآتوا الموالي والورثة نصيبهم، فقوله "وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ" معطوف على قوله "ٱلْوَٰلِدَٰنِ وَٱلأَقْرَبُونَ" والمعنى إن ما ترك الذين عاقدت أيمانكم فله وارث هو أولى به، وسمى الله تعالى الوارث مولى، والمعنى لا تدفعوا المال إلى الحليف، بل إلى المولى والوارث".[7]

---

[1] سورة النساء، الآية 8.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص152.

[3] سورة المزمل، الآية 2.

[4] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص477.

[5] سورة النساء، الآية 33.

[6] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ10-ص 69-70.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ10-ص 69-70.

- **ذكر الآية المنسوخة ثم بيان الآية الناسخة**

أشار الجبائي إلى نسخ الآية، مع ناسخها في مواضع من تفسيره، مثلا بحث في تفسير قوله تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ"[1] عن وجوب قتال المسلمين المشركين وإن لم يقاتلوهم؛ لأن هذه الآية منسوخة بالآيتين: "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ"[2] و"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ"[3]. وأيضاً أشار الجبائي إلى أن هاتين الآيتين نسختا نهي القتال في الشهر الحرام والقتال عند المسجد الحرام في قوله تعالى "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ"[4].

والمثال الآخر، قال فيه الجبائي: إن وجوب اليمين على الشاهد في قوله تعالى "ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا"[5] مع الآيتين المتقدمتين[6] منسوخة، وإنما كان هذا الشرط قبل الأمر بإشهاد العدول في قوله تعالى "وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ" [7].

ونرى في تفسيره أنه أجاز نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية، ومثال ذلك، أنه ذكر أن الوصية للوالدين والأقربين كانت فرضاً على الناس في صدر الإسلام عند قوله تعالى "كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ"[8] ثم نسخ ذلك ببيان النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث"[9]، ولكن كما يعرف أن نسخ حكم هذه الآية بآية الميراث، ليس بالسنة فحسب.[10]

---

[1] سورة البقرة، الآية 190.

[2] سورة التوبة، الآية 5.

[3] سورة البقرة، الآية 193. وانظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 99.

[4] سورة البقرة، الآية 217. وانظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 106.

[5] سورة المائدة، الآية 108.

[6] إنهما الآية 106 من سورة المائدة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوآخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوكَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ" والآية 107 من نفس السورة: "فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ".

[7] سورة الطلاق، الآية 2. وانظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 200.

[8] سورة البقرة، الآية 180.

[9] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص97. وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الوصايا، باب إبطال الوصية للوارث برقم 3641: " أخبرنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمروبن خارجة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث."

[10] انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.4، 1997، جـ1-ص192.

وأيضا جوَّز نسخ القرآن الكريم بالاجماع في تفسير قوله تعالى "الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً"[1]، واختلف المفسرون في دلالة هذه الآية على قولين، فمنهم جماعة ذهبوا إلى أنها تدل على التحريم، والآخرون ذهبوا إلى أنها لا تدل على التحريم أصلا، وهي خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة،[2] أما الجبائي اختار القول الأول، إلا أنه قال بأن حكم الآية منسوخ، وناسخه إجماع، ولكن لا يمكن قبول هذا القول؛ لأن معلوم أن الإجماع لا ينسخ ولا ينسخ به.[3]

- **ذكر الآية الناسخة ثم بيان الآية المنسوخة**

اختلف العلماء في موقف الآية "فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ"[4] من حيث النسخ، بينما ذهب بعضهم إلى أن الآية محكمة، قال الآخرون إن التخيير المذكور في الآية منسوخ بقوله تعالى"فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ"[5]، بيّن الجبائي أن الأمر بتحكيم كتاب الله في الآية ناسخ للتخيير في الحكم.[6]

الفرع الثالث: المحكم والمتشابه في تفسيره

إن المحكم عند الجبائي ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، وأما المتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا، وأن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله ، وأما العلماء، فلا يعلمون منه إلا الوجه المقصود.[7]

وأوَّل الجبائي بعض الألفاظ المتشابهة من القرآن الكريم مثل كون الشهداء عند ربهم في قوله تعالى "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"[8]، أنَّه يفهم من ظاهر الآية أن الشهداء قريبيون من الله في القبور بالمسافة، ويشرح الجبائي أن المقصود من الآية أن الشهداء في "موضع الذي لا يملك لهم أحد من العباد نفعا ولا ضرا إلا الله".[9]

[1] سورة النور، الآية 3.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، جـ.18- ص.152-154.

[3] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 23- ص 132.

[4] سورة المائدة، الآية 42.

[5] سورة المائدة، الآية 48، و انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط.2، القاهرة، 1964، جـ.6-ص 184-185.

[6] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 192.

[7] انظر: المصدر نفسه، ص 122-123.

[8] سورة آل عمران، الآية 169.

[9] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص145.

وحمل معنى نور الله في قوله تعالى "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ"[1] على الدلالة والبرهان.[2] وأوّل لفظ "وجه الله" في قوله تعالى: "فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ"[3] إلى رضوان الله تعالى.[4]

وأيضا أوّل أخذ الله تعالى ذرية بني آدم من ظهورهم في قوله تعالى "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"[5]، وذكر أن المقصود من العبارة بأن الله تعالى "خلق بني آدم من ظهور الآباء، بعد ذلك خلقهم في أرحام الأمهات، ثم نقلهم من خلقة إلى خلقة، وصورة إلى صورة، ثم صاروا حيوانًا بأن أحياهم الله في الأرحام، وأتم خلقهم، ثم أخرجهم من الأرحام بالولادة"[6]، كما أوّل محادثة الله تعالى مع جماعة من ذرية آدم في الآية نفسها بأنّ الله قررهم على ألسنة رسله، والقول بخلاف ذلك سيؤدي إلى التجسيم.[7]

الفرع الرابع: القراءات القرآنية في تفسيره

نفهم من الروايات التي بين أيدينا عن تفسير الجبائي أنه استعان بالقراءات المختلفة في بيان الآيات، ولئن اختار وجهاً واحداً في تفسير الآية، فقد أجاز القراءتين في الآية الواحدة.[8]

والمثال على اختياره القراءة الواحدة هو في قوله تعالى "وَلَوتَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[9]، إن حمزة، ويعقوب، وحفص قرأوا "ولا نكذب... ونكون" بالنصب الباء والنون، ووافقهم ابن عامر في "نكون" بنصب النون، والباقون برفع الباء والنون،[10] اختار الجبائي رواية الباقين، وشرح معنى الآية بأن "ولا نكذب" و"ونكون" معطوفة على نرد وداخلة في التمني.[11]

---

[1] سورة التوبة، الآية 32.

[2] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص280.

[3] سورة البقرة، الآية 115.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 80.

[5] سورة الأعراف، الآية 172.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص259.

[7] انظر: المصدر نفسه، ص259.

[8] انظر: المصدر نفسه، ص343.

[9] سورة الانعام، الآية 27.

[10] أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، ط.2، بيروت، 1404، جـ.1-ص.102.

[11] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص207.

وشرح معنى القراءات المختلفة في تفسير قوله تعالى "قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا"[1]، فأشار إلى أننا عندما نقرأ لفظ "علمت" بالضم من رواية الكسائي، فإن الاية لا تدل على أن موسى عليه السلام خبّر ما ذكر في الآية، أما إذا قرىء بالفتح من رواية الباقين أصبح المعنى أن موسى عليه السلام عرف كل ما ذكر في الآية.[2]

الفرع الخامس: المناسبات بين الآيات في تفسيره

كان الجبائي عندما يفسر الآية يشير إلى مناسبة الآية لما قبلها أحيانا، فعلى سبيل المثال، شرح وجه اتصال الآية "لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللَّهِ"[3] بما قبلها[4]، فقال: "ليس عليك هداهم بالحمل على النفقة في وجوه البر"، بتعبير آخر ليس عليك أن توصل الناس إلى نيل الثواب، "وإنما عليك أن تهديهم إلى الإيمان بأن تدلهم عليه".[5]

كما بحث الجبائي عن مناسبة الآية "لِلَّذِينَ اسْتَجَابو اْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوأَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ"[6] بما قبلها[7] وذكر "أن الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب".[8]

وشرح الجبائي بعض الآيات في ضوء الآيات السابقة، فعلى سبيل المثال؛ نجد أن عدداً من المفسرين اعتبروا قوله تعالى "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي"[9] من كلام يوسف عليه السلام، لكن رأي الجبائي أنه من قول امرأة العزيز، واستشهد على هذا التأويل بسياق الآية؛ لأن الجبائي عدَّ الآيات السابقة[10] كلها من قول المرأة، وحمل الآية إلى قول المرأة لربط الآية مع ما قبلها، ويكون المعنى على ذلك أن التبرؤ من الخيانة

---

[1] سورة الإسراء، الآية 102.

[2] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص361، و أبو عمرو الداني، التيسير، جـ1-ص.141.

[3] سورة البقرة، الآية 272.

[4] هي الآية 271 من سورة البقرة: "إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوخَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص118.

[6] سورة الرعد، الآية 18.

[7] هي الآية 17 من سورة الرعد: " أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَومَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ".

[8] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص336.

[9] سورة يوسف، الآية 53.

[10] الآيات 51-52 من سورة يوسف: "قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ"

من كلام امرأة العزيز لا من كلام يوسف عليه السلام، ويكون المكنى عنه في قولها "أني لم أخنه بالغيب" هو يوسف عليه السلام دون زوجها، وإنما أرادت أني لم أخن يوسف عليه السلام وهو غائب في السجن.[1]

[1] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص325-326.

الفصل الأول: منـهج الجبائي في تفسيره

يستحسن قبل الخوض في منهج الجبائي في تفسيره الإشارة إلى المعنى الاصطلاحي للمنهج وهو "الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن والتي يمكن من خلاله تبيين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخّصة، وبعبارة أخرى، إن كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم هو ما يطلق عليه منهج التفسير".[1]

وسأتناول منهج الجبائي في تفسيره من خلال أربعة مباحث هي: الأثر، العقل، اللغة، الفقه. ولا أدرج العقيدة في هذا الفصل متعمدًا، لأنه كما سنرى في الفصل الثاني أن أسس العقيدة ليست مصدراً فحسب لتفسير الجبائي، بل إنها عامل هام يحدد هوية تفسيره.

---

[1] محمد علي الرضائي الإصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، مركز المصطفى صلى الله عليه وسلم العالمي للترجمة والنشر، ط.2، قم، ص19.

المبحث الأول: منهجه في التفسير الأثري

إن منهج التفسير الأثري رجوع المفسر إلى القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة الكرام والتابعين لتوضيح معاني آيات القرآن الكريم. يجب أن نقول إن هناك اختلافًا بين العلماء في مصادر التفسير الأثري، فمنهم من يرفض إدراج تفسير القرآن بالقرآن تحت التفسير بالمأثور،[1] ومنهم لا يدرج أقوال الصحابة والتابعين تحت التفسير بالمأثور.[2] لا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا النقاش الذي هو خارج موضوعنا.

وقسم أغلب العلماء التفسير الأثري إلى أربعة أقسام: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين.[3]

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

هي حقيقة واضحة أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، لأجل ذلك، يجب على المفسر أن ينظر في القرآن أولًا.

واهتم العلماء بهذا المنهج اهتمامًا كبيرًا، ولذلك عُدَّ تفسير القرآن بالقرآن أصح الطرق في التفسير،[4] وطبق من قبل المفسرين عبر العصور.

ومع ذلك، يجب أن نقول إن الأمثلة الموضوعية في تفسير القرآن بالقرآن نادرة، فعلى سبيل المثال، الآية 69 من سورة النساء "وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا" تفسّر الآية 7 من سورة الفاتحة "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ".

ومن جهة أخرى، نجد أنَّ فهم الآية من قبل المفسر متغير، ويختلف استنباط المفسرين في الآية نفسها، ونجد الاستنباط المختلف في نفس الآية؛ "لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين"[5]

---

[1] انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، ط.3، دمشق، 2008، ص200.

[2] انظر: فضل حسن عباس، التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، ط.1، عمان، 2005، ص 183-189.

[3] انظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة الوهبة، القاهرة، ط.7، 2000، جـ.1-ص112 .

[4] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، جمع عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980، ص 39.

[5] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى، تأويل مختلف الحديث، دار الحديث، ط.1، القاهرة، 2006، ص 97.

بمعنى آخر، وعلى الرغم من أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، إلا أنّ استنباط المفسر قد يتغير حسب وجهة نظره، ومذهبه الفقهي، ومذهبه العقدي.

واستعمل الجبائي هذا النوع في تفسيره مرات عديدة لأغراض مختلفة، ويمكن إدراجها كما يأتي:

أولا: الاستدلال بالآية على دلالة اللفظ

إن الجبائي عندما يشرح دلالة الكلمة في الآية، فإنَّه يستدل من الآيات الأخرى على شرحه، فعلى سبيل المثال، عندما يشرح دلالة لفظ "الظن" في قوله تعالى "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"[1]، قال: إن معنى الظن فيها علم من طريق الوحي؛ لأن الله أخبر تأويل الرؤيا بالوحي إلى يوسف عليه السلام كما في قوله تعالى "إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ".[2]

ومثال ثانٍ على ذلك تفسير قوله تعالى "قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا"[3]، قال الجبائي فيه: إن المراد من الاستطاعة في هذه الآية أنه يثقل على موسى عليه السلام الصبر لا أنه لا يستطيعه، كما يقال في العرف: "إن فلانا لا يستطيع أن يرى فلانا... إذا كان يثقل عليه ذلك"، ونظيره قوله تعالى: " مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ "[4] أي كان يشق عليهم الاستماع.[5]

ومثال ثالث بيان لفظ "رفع" في تفسير قوله تعالى "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا "[6]، قال الجبائي: إن المراد بهذا اللفظ رفعة مرتبة إدريس عليه السلام بالرسالة، ليست دلالته رفعة المكان كما في قوله تعالى "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ".[7]

---

[1] سورة يوسف، الآية 42.

[2] سورة الحاقة، الآية 20، وانظر: الجبائي، أبو علي محمد بن عبد الوهاب، تفسير أبي علي الجبائي، حضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2007م، ص324.

[3] سورة الكهف، الآية 67.

[4] سورة هود، الآية 20.

[5] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص367.

[6] سورة مريم، الآية 57.

[7] سورة الشرح، الآية 4، انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص372.

ثانيا: الاستدلال بالآيات على ما ذهب إليه في تفسير الآية

نرى في تفسير الجبائي كثيراً من الأمثلة التي يستدل بها على الآراء الراجحة عنده بآيات القرآن الكريم ، حتى يذكر آيات عديدة دليلا على رأيه في تفسير آية واحدة في بعض الأحيان.

ومن الشواهد على ذلك استدلال الجبائي بأكثر من آية عندما استدل على خلق أفعال العباد في بيان معنى قوله تعالى "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً"[1]، فعلى الرغم من أن ظاهر الآية يدل على أن القلوب المذكورة في الآية مجعولة لله تعالى، وأن فعل العبد خلق لله تعالى وكسب للعبد،[2] أوّل أبو علي دلالة الكلمة "الجعل" في قوله تعالى وفق اعتقاده بأن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، فإن عكس ذلك يتعارض مع عدالة الله،[3] وكما أشار إلى أن الجعل قد يكون بغير معنى الخلق، وذكر الآيات التي يستخدم فيها لفظ الجعل الذي لا يدل معناه على الخلق، "نحو قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً "[4]؛ لأنه ذمهم بذلك، فليس المراد أنه خلقها قاسية، ونحو قوله تعالى "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ"[5]؛ لأن الله تعالى لم يخلقه خليفة، وإنما صار خليفة بأمور وجدت بعد خلقه،"[6] ومثل قوله تعالى "وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا"[7] أي لا تحكم علينا بذلك، ليس المراد ولا تخلق في قلبنا غلا للمومنين، ومثل قوله تعالى "وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا"[8] لأنهم وصفوا الملائكة إناثا.[9]

---

[1] سورة الحديد الآية 27.

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.29-ص 213.

[3] انظر: محمد صالح محمد سيد، مدخل إلى علم الكلام، دار قباء، القاهرة، 2001، ص 256.

[4] سورة المائدة، الآية 13.

[5] سورة ص، الآية 26.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 464.

[7] سورة الحشر، الآية 10.

[8] سورة الزخرف، الآية 19.

[9] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 464.

والمثال الآخر تفسير قوله تعالى "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ"[1]، حيث يرى الجبائي عدم جواز إعطاء الله تعالى المُلك للفاسق والكافر، وفسر هذه الآية على رأيه، واستدل بقوله تعالى " قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"[2] على بيانه.[3]

وجمع الجبائي أحيانا الآيات التي تحمل المعنى نفسه تحت تفسير الآية الواحدة، فمثلاً بيّن معنى قوله تعالى " فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا "[4] "أنه لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل عليه السلام من إبلاغه"[5]، ومن ثم ذكر أن قوله تعالى "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ "[6] يحمل المعنى نفسه.[7]

والمثال الآخر تفسير قوله تعالى "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"[8]، ذكر الجبائي "أن الله تعالى أخبر بذلك عن نفر من كفار أهل الكتاب كانوا يعلمون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من كتبهم، كما يعرفون أبناءهم، ويكتمون خبره"[9]. وأضاف إلى ذلك أن قوله تعالى "وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هو مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُومِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هو مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"[10] يحمل على هذا الوجه.[11]

---

[1] سورة آل عمران، الآية 26.

[2] سورة البقرة، الآية 124.

[3] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 125.

[4] سورة طه، الآية 114.

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 379.

[6] سورة القيامة، الآية 16.

[7] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 379.

[8] سورة البقرة، الآية 146.

[9] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 86.

[10] سورة آل عمران، الآية 78.

[11] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 86.

ثالثا: الاستدلال بالآية لرد الآراء الأخرى

اعترض الجبائي على آراء مختلفة في تفسير بعض الآيات، واستدل على اعتراضه بالآيات. فعلى سبيل المثال، أنكر القول بأن الأمة الأولى كانت على الشرك في تفسير قوله تعالى "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا"[1]، وقال: "إنهم كانوا على الإسلام في عهد آدم وولده"[2]، واحتج بقوله تعالى "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا "[3] ويذكر "فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيد أصلًا"[4].

والمثال الثاني الذي يرى الجاحظ فيه أن قوله تعالى: "قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا"[5] يدل على أن فرعون ومن معه كانوا يعرفون الحق ويجحدون، حيث اعترض الجبائي على هذا الرأي، و قال: "يجوز أن يكون جاهلا بالله من قبل، وعرف الله تعالى في هذا الحال الذي خبّر موسى عليه السلام"، واستدل بالآيات الدالة على خلاف قول الجاحظ، فمنها قوله تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي"[6] وقال "ولو كان عارفا بالحق لما صح منه ذلك"، وأيضاً قوله تعالى: "وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ"[7]، وقوله تعالى:"وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا"[8] و"وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا"[9].

رابعا: الاستدلال بالقراءات

يفهم من تفسير الجبائي بين أيدينا أنه استدل بأوجه القراءات لتقوية رأيه، فعلى سبيل المثال يرى أبو علي أن إخوة يوسف عليه السلام أبعد من أن يكونوا أخبروا أباهم بما لم يعلموا، وفسر في هذا السياق قوله تعالى "ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ

---

[1] سورة يونس، الآية 19.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 293-294.

[3] سورة النساء، الآية 41.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 293-294.

[5] سورة الإسراء، الآية 102.

[6] سورة القصص، الآية 38.

[7] سورة المجادلة، الآية 18.

[8] سورة الكهف، الآية 104.

[9] سورة الاحزاب، الآية 10. وانظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 361-362.

حَافِظِينَ "[1]، لأجل ذلك اختار ما روي عن ابن عباس، وقراءة الكسائي "سُرِّق" بتشديد الراء مبنيا للمفعول[2] على معنى قذف بالسرقة.[3]

المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم بالسنة

انتهج الجبائي تفسير القرآن بالسنة النبوية في تفسير آيات كتاب الله تعالى، وقد يرى بالسهولة أنه اهتم بالسنة النبوية في شرح الآيات، إلا أننا لا نستطيع تحديد عدد الأحاديث التي استعملها الجبائي في تفسيره.

ومن جهة أخرى، يمكن الوصول إلى بعض الاستنتاجات، فمثلا قد يُشار إلى أن الجبائي فضّل نقد المتن على السند في تفسيره مثل العلماء الآخرين من المعتزلة المعروفين بنقد المتن فضلا عن نقد السند؛[4] لأنه عندما يستشهد بالأحاديث النبوية يرويها دون الإسناد، لأجل ذلك يمكن القول بأنه ذكر الأحاديث كلها دون الإسناد في تفسيره، ويدل ذلك على أنه لم يهتم بالإسناد كثيرًا، كما أن الحادثة التي جرت بين الجبائي والتركاني[5] تدل على أن أبا علي كان يفضل نقد المتن.

ونلحظ في المقابل أنّه نقد سند حديث واحد[6] فقط في تفسيره بقوله "أظن أن من أهل النقل من ضعف إسناده"[7]، لذا يمكن القول إن الجبائي اهتم بالحكم على صحة الأحاديث متنًا أكثر من السند.

---

[1] سورة يوسف، الآية 81.

[2] هي قراءة شاذة، انظر أيضا: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي، بحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، 1430هـ، جـ6 – ص 312.

[3] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 329.

[4] انظر: Hansu، Huseyin، Mutezile ve Hadis، Otto، Ikinci Baskı، 2012، Ankara، s.237.

[5] الحادثة المذكورة: قال التركاني لأبي علي: يا أبا علي، ما تقول في حديث أبي الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها"؟ فقال أبو علي: "هوصحيح". قال التركاني: فبهذا الإسناد جاء حديث: "إنَّ موسى لقي آدم في الجنة، فقال يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، ثم عصيته، فأخرجت ذريتك من الجنة. قال آدم: يا موسى، أليست هذه المعصية مكتوبة عَليَّ قبل أن أخلق بألفي عام؟ قال موسى: نعم. قال آدم: فكيف تلومني على فعل قد كُتِبَ عليَّ؟ فحج آدم موسى..." فقال أبو علي: هذا الحديث باطل. فقال التركاني: حديثان بإسناد واحد صححت أحدهما، وأبطلت الآخر؟ فقال أبو علي: ليس التصحيح على الإسناد، وإنما صححت الأول لوقوع الإجماع عليه، وأبطلت الآخر؛ لأن القرآن يدل على بطلانه، ومثله إجماع المسلمين، ودليل العقل، وإنما أبو هريرة رجلٌ من المسلمين. فقال التركاني: كيف ذلك؟ فقال أبو علي: أليس في الحديث أن آدم معذور؛ لأن الأمر قد كُتبَ عليه؟ قال التركاني: بلى. قال أبو علي: أليس إن كان ذلك عذراً لآدم، فيجب أنْ يكونَ عذراً لكل كافر وعاصٍ، وكل من لامهم يكون محجوجاً؟ فسكت التركاني. (ابن المرتضى، فضل الاعتزال، ص288-289)

[6] سأبحث عن هذا الحديث الشريف مفصلاً في صفحة 43.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 75.

كما أنه استدل بالسنة النبوية خاصة في الأخبار التي لا تعلم إلا بالرواية الصحيحة كما قال في تفسير حادثة الإسراء "والذي يشهد به القرآن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والباقي يعلم بالخبر"[1]، بالإضافة أنّه لم يستدل بالأحاديث الشريفة على المسائل العقدية في تفسيره.

واعتمد الجبائي على السنة النبوية في مجالات عديدة هي:

أولا: توضيح دلالة الألفاظ القرآنية

استعان الجبائي بالأحاديث في بيان دلالة الألفاظ في تفسيره، مثل التركيب "ذوي القربى" في قوله تعالى "لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ"[2]، فقد بيّن الجبائي أن المراد به قرابة المعطي، وذكر دليلا قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لفاطمة بنت قيس،[3] لما قالت: يا رسول الله، إن لي سبعين مثقالا من ذهب، فقال: اجعليها في قرابتك"[4].

والمثال الثاني، عندما يشرح قوله تعالى "وفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ"[5] قال الجبائي: إن المقصود من الفراش في الآية "نساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن"[6]، كما يستعمل لزوجة الرجل فراشه في اللغة مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش وللعاهر الحجر"[7].

والمثال الثالث، دافع الجبائي عن فكرة اندراج اليهود والنصارى تحت اسم المشرك في تفسير قوله تعالى " وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ "[8]، واحتج على ذلك بأنه قد "تواتر النقل عن رسول الله

---

[1] المصدر نفسه، ص 352.

[2] سورة البقرة، الآية 177.

[3] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 96.

[4] وهذا الحديث بهذا السياق لم نجده في موضع آخر الا في تفسير الطبري. أنه ذكر تحت نفس تفسير الآية. انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ت. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، دار هجر، 2001، جـ.3-ص 79-80. مع ذلك أخرجه مسلم في صحيحه (998) بألفاظ مختلفة، والحديث مروية عن أنس بن مالك بلفظ "لما نزلت هذه الآيةُ: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. قال أبو طلحةَ: أرى ربَّنا يسألُنا من أموالِنا. فأُشهِدُك، يا رسولَ اللهِ، أني قد جعلتُ أرضي، بيرَحا للهِ. قال فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ "اجعَلْها في قرابتِك" قال: فجعلها في حسانِ بنِ ثابتٍ وأُبيٍّ بنِ كعبٍ." يجب أن يقال أن هذا الحديث مذكور تحت الآية الأخرى.

[5] سورة الواقعة، الآية 34.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 462.

[7] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 462. وأخرجه البخاري (6750)، ومسلم (1457)، وفي لفظ للبخاري: "الولد لصاحب الفراش"، أضاف مسلم لفظ "وللعاهرِ الحجرُ".

[8] سورة النساء، الآية 221.

صلى الله عليه وسلم أنه كان يسمي كل من كان كافرًا بالمشرك"،[1] ولكن لم يذكر ما يؤيد ذلك من الأحاديث الشريفة.

ثانيا: الاستدلال بالحديث تأييدًا لمعنى الآية

وأيضا اعتمد الجبائي على السنة لتأييد معنى الآية، فعلى سبيل المثال، عندما فسّر قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ"[2] ذكر أن النساء لم يدخلن في شرط صلح الحديبية، وعلى ذلك، فالنساء المسلمات لا يردن إلى الكفار؛ لأن المرأة المسلمة لا تحل لزوجها الكافر،[3] وأيد أبو علي ذلك بالسنة النبوية: أن "أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة، فجاء أخواها إلى المدينة، فسألا رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها عليهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء"[4].

وأيضا عندما يشرح قوله تعالى "وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[5] ،اعترض على الرأي أن اليهود كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قوله تعالى "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي"[6] ويذكر أن بعض اليهود لم يعبدوا العجل "بدلالة ما ورد من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه في هذا المعنى"[7]، ولكن لم يذكر الطوسي في تفسيره متون الأحاديث.

ومن الجدير بالذكر أن الجبائي استعمل الأحاديث الضعيفة في تفسير بعض الآيات، ومن الأمثلة على ذلك بيان إنزال الأنعام في قوله تعالى "خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ

---

[1] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 107-108.

[2] سورة الممتحنة، الآية 10.

[3] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 466.

[4] أخرجه البخاري (4180) (2711) في صحيحه بألفاظ مختلفة، والحديث مروية عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: "يخبران خبرا من خبر رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في عمرة الحديبية أنه لما كاتب رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سهيل بن عمرويومَ الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سهيل بن عمروأنه قال: لا يأتيك منا أُحُدٍ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه. وأبى سهيل أن يقاضي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلا على ذلك، فكره المؤمنون ذلك وامعضوا، فتكلموا فيه، فلما أبى سهيل أن يقاضي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلا على ذلك، كاتبه رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فرد رسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أبا جندل بن سهيل يومَئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أُحُدٍ من الرجال إلا رده في تلك المدة، وإن كان مسلما، وجاءت المؤمنات مهاجرات، فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يرجعها إليهم، حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل."

[5] سورة الأعراف، الآية 149.

[6] سورة الأعراف، الآية 151.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 256.

الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ"[1]، وقال إنه إنزال الأنعام بعد خلقها في الجنة كما روي في الحديث "الشاة من دواب الجنة"[2].

ثالثا: اعتماده على السنة في بيان الأحكام

ونرى أنَّ الجبائي فسَّر بعض الآيات المتعلقة بالفقه وفق السنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين. والمثال على ذلك بيانه أيام التشريق في قوله تعالى "فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ"[3] فقال: "فلا يجوز الصوم في أيام التشريق عندنا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنها"[4]، ولكن لم يذكر الحديث كاملا في تفسير الطوسي، ربما أيضا الجبائي لم يذكره في تفسيره.

المطلب الثالث: تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة والتابعين

من الممكن القول بأن تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين له نسبة كبيرة في تفسير الجبائي استناداً إلى الروايات التفسيرية التي أسندت إلى الجبائي، حيث يتفق الجبائي مع السلف في تفسير بعض الآيات كما سنرى لاحقا، مع ذلك لا يمكن معرفة طريقة الجبائي في عرض أقوالهم.

ويظهر منهج الجبائي في هذا الإطار من خلال ذكره التابعين مع الصحابة في رواية واحدة، نحو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وعطاء... وأيضاً التزم غالبا أقوال السلف عندما تكون الآية من قبيل أخبار الغيب ولا تتعارض مع عقيدته. فعلى سبيل المثال، قال في قوله تعالى "وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ"[5] أن النصارى "لا يصير كلهم يهودًا، ولا اليهود كلهم يصيرون نصارى أبدًا"[6]، وعدَّها الجبائي من الإخبار بالمستقبل، وفسر الآية حسب رواية عن السدي، والحسن، ابن زيد دون اجتهاد منه.[7] كما أن قوله تعالى: "وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ"[8] أيضا من الإخبار

---

[1] سورة الزمر، الآية 6.

[2] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 436. وقال ابن الجوزي عن هذا الحديث "هذا حديث لا يصح"، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، إدارة العلوم الأثرية، ط.2، فيصل آباد، 1981، جـ.2- ص 174.

[3] سورة البقرة، الآية 196.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص101، وورد أحاديث كثيرة في هذا المعنى مثل رواية عن عبدالله بن عمر وعائشة رضي الله عنهما: " لم يُرَخَّصْ في أيامِ التشريقِ أن يُصَمْنَ، إلا لمَن لم يجِدِ الهَديَ"، أخرجه البخاري في صحيحه (1997). وأيضا رواية نبيشة الخير الهذلي رضي الله عنه: "أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكلٍ وشُربٍ"، أخرجه مسلم في صحيحه (1141).

[5] سورة البقرة، الآية 145.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 86.

[7] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 85-86.

[8] سورة البقرة، الآية 154.

بعالم الغيب، لأجل ذلك اختار الجبائي قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة دون التأويل ويذكر في تفسيرها أقوالهم بأن الشهداء أحياء إلى أن تقوم الساعة.[1]

ومع ذلك نقد أبو علي بعض أقوال الصحابة عن تفسيره بعض الآيات لأسباب مختلفة، فيروي عن علي بن أبي طالب،[2] وقتادة،[3] والسدي[4] رضي الله عنهم أن المراد بـ"عنْ ذِكْرِ رَبِّى" في قوله تعالى: "فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ"[5] صلاة العصر التي فاتت سليمان عليه السلام، ولم يقبل الجبائي هذه الرواية؛ لأنه يرى أن الرسل لم يفعلوا شيئاً قبيحاً، وفسر الآية أنه نفل فاته لاشتغاله بالخيل.[6]

وأيضا رَدَّ قول ابن عباس[7] في تفسير قوله تعالى "وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[8] أن القوم المذكورين في الآية قوم وراء الصين، وأنكر الجبائي هذا ويذكر "أن شرع موسى وعيسى عليهما السلام منسوخ بشرع محمد صلى الله عليه وسلم، فلو كانوا باقين لكفروا بنبوة النبي، ويحتمل أنهم كانوا قوما متمسكين بالحق في وقت ضلال الأمم السابقة، أو أنهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم".[9]

واستعان أبو علي بأقوال الصحابة والتابعين للأغراض الآتية:

---

[1] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 88.

[2] أخرجه الطبري في تفسيره جـ.4-ص 343-344 وجـ.20-ص 85.

[3] أخرجه الطبري في تفسيره جـ.20-ص 84.

[4] أخرجه الطبري في تفسيره جـ.20-ص 84-85.

[5] سورة ص، الآية 32.

[6] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 433-434.

[7] وردت هذه الرواية في تفسير ابن كثير هكذا: "وقد ذكر ابن جرير في تفسيره خبراً عجيباً، فقال: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله: "وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ" قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، وكفروا، وكانوا اثني عشر سبطاً، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمين، يستقبلون قبلتنا، قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: "وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا" ووعد الآخرة عيسى بن مريم".(ابن كثير، تفسير القرآن العظيم)

[8] سورة الأعراف، الآية 159.

[9] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 257.

أولا: توضيح الآية

استعان الجبائي بأقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآية، مثلا اختلف المفسرون فيمن عُني بهم في قوله تعالى "فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ"[1] واختار الجبائي "أنهم أهل الكتاب كفروا بالنبي بعد إيمانهم به"، وهذا القول مروي عن عكرمة.[2]

والمثال الثاني على ذلك، وضّح الجبائي أن المخاطب في قوله تعالى: "فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هو فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ"[3] المؤمنون، وتقدير الآية: "لم يقبلوا إجابتك يا محمد والمؤمنون، ولا يأتون بعشر سور معارضة لهذا القرآن، فليعلم المؤمنون أنما أنزل القرآن بعلم الله بهذا الدليل"[4]، وهو قول مجاهد.

والمثال الثالث، لم يذكر حال الفرقة التي لم تنتهِ عن ارتكاب المعصية بصيد السمك هل كانت من الناجية أم من الهالكة في قوله تعالى:"فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"[5]، وفسّر الجبائي الآية على ما روي عن عكرمة: "فقال: دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية، ثم قال: قد علمت أن الله تعالى أهلك الذين أخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا".[6]

ثانيا: بيان دلالة الألفاظ في الآية

شرح الجبائي معنى المفردات وفقا لأقوال الصحابة والتابعين، والمثال ذلك بيان لفظ "مِن مَّقَامِ" في قوله تعالى "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى"[7]، فاختار قول السدي المتمثل في أن مقام إبراهيم هو"الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعته تحت قدم إبراهيم حين

---

[1] سورة آل عمران، الآية 106.

[2] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 135-136.

[3] سورة هود، الآية 14.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 306.

[5] سورة الأعراف، الآية 165.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص258.

[7] سورة البقرة، الآية 125.

غسلت رأسه، فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكب، فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر، فوضعته تحت الشقّ الآخر فغسلته، فغابت رجله أيضاً فيه، فجعلها الله من شعائره".[1]

والمثال الآخر بيان دلالة كلمة "الصدقة" التى يُعدُّ إخفاؤها أفضل في قوله تعالى: "إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهو خَيْرٌ لَّكُمْ"[2]، فقال الجبائي: إنها صدقة التطوع؛ لأنها أبعد عن الرياء، وأما الصدقة الواجبة، فإظهارها عند ابن عباس وسفيان أفضل؛ لأنها أبعد عن التهمة.[3]

ومن أمثلة على ذلك بيان دلالة لفظ "لَيْسَ البِرَّ" في تفسير قوله تعالى "لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ"[4]، اختلف المفسرون فيه: القول الأول ما روي عن ابن عباس ومجاهد، وأن المراد على ذلك "ليس البر الصلاة وحدها، ولكن البر الخصال التي أُبيِّنها بكم"[5]، والقول الثاني فما روي عن قتادة والربيع بلفظ: "كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق، فنزلت الآية"[6] المذكورة، فاختار الجبائي ذلك الوجه ويذكر أن المراد "ليس البر ما عليه النصارى من التوجه إلى المشرق، أوما عليه اليهود من التوجه إلى المغرب."[7]

ثالثا: الاستدلال على مسألة لغوية أوبلاغية

المثال الأول على استدلال الجبائي على مسألة بلاغية تفسير لفظ "مَلَكُوتَ" في قوله تعالى "وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ"[8]، حيث نقل قول عكرمة فيها "إن الملكوت بمنزلة الملك غير أن هذه اللفظ أبلغ من الملك؛ لأن الواووالتاء يزدادان للمبالغة".[9]

---

[1] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص81-82.

[2] سورة البقرة، الآية 271.

[3] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص117.

[4] سورة البقرة، الآية 177.

[5] الطبري، جامع البيان، جـ3-ص74.

[6] المصدر نفسه، جـ 3 - ص 86.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 95.

[8] سورة الانعام، الآية 75.

[9] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 214.

والمثال الثاني بيان الآية المشهورة في موضوع المحكم، والمتشابه، والتأويل[1]، وقد اختلف المفسرون في الواو في قوله تعالى "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا" على وجهين: أوّلهما ما روي عن ابن عباس، وعائشة، ومالك بن أنس رضي الله عنهم، أن الواو واو الابتداء، والمعنى على هذا الوجه اللغوي هو لا يعلم المتشابه إلا الله؛ وثانيهما مروي عن ابن عباس أيضا، ومجاهد، والربيع رضي الله عنهم، وهو أن الكلام يتم عند "والراسخون في العلم"، فيصبح المعنى أن الله تعالى، والراسخين في العلم يعلمون معنى المتشابه؛ فقد اختار الجبائي الرواية الأولى.[2]

والمثال الثالث بيان دلالة التشبيه في قوله تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"[3]، وقد اختلف المفسرون فيه، فاختار الجبائي ما روي عن ابن عباس ومجاهد، وقتادة، وهو اختيار الطبري، والفراء،[4] وأن المعنى على ذلك الوجه "مثل الكافر في قلة فهمه عن الله ما يُتلى عليه في كتابه، وسُوء قبوله لما يدعَى إليه من توحيد الله، ويوعظ به مثلُ البهيمة التي تسمعُ الصوتَ إذا نُعق بها، ولا تعقلُ ما يقال لها".[5]

رابعا: الاستدلال على مسألة فقهية

يمكن بيان استدلال الجبائي بالمسألة الفقهية من خلال قوله تعالى: "وأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوبِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوصَدَقَةٍ أَونُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلىالْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[6]، حيث شرحها وفقا لرواية الصحابة والتابعين تمامًا على ما روى عن مجاهد في إتمام الحج والعمرة، وهو "أنها يجب أن يبلغ آخر أعمالهما بعد الدخول فيهما".[7]

[1] هي الآية 7 من سورة آل عمران: "هُوالَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوالْأَلْبَابِ".

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 7 – ص 152-153.

[3] سورة البقرة، الآية 171.

[4] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 93.

[5] الطبري، جامع البيان، جـ. 3 – ص 44.

[6] سورة البقرة، الآية 196.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 101.

والمثال الثاني بيانه ماهية الفدية والصدقة والنسك في قوله تعالى "فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوصَدَقَةٍ أَونُسُكٍ" بأن الصوم ثلاثة أيام، والإطعام لستة مساكين، والنسك شاة وفقًا لرواية مجاهد، وعلقمة، والربيع رضي الله عنهم.[1]

والمثال الثالث توضيح التمتع في قوله تعالى "فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ" أن المعنى فيه "أن يعتمر في أشهر الحج ثم يأتي مكة، فيطوف، ويسعى، ويقصر ثم يقيم حلالا إلى يوم التروية، أو يوماً قبله، فيهل فيه بالحج من مكة، ثم يحج"[2] على رواية ابن عباس وابن عمر، وسعيد بن المسيب، وعطاء.[3]

خامسا: اعتماده على أقوال الصحابة والتابعين في أسباب النزول

يتضح من تفسير الجبائي أنه استعان بأقوال الصحابة والتابعين في بيان أسباب النزول، ومن أمثلة على ذلك ما روي في تفسير قوله تعالى: "أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ "[4] أنها "نزلت عندما سأل الناس النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها"[5]، واختار الجبائي هذه الرواية، وفسر الآية على ذلك.[6]

والمثال الآخر بيان قوله تعالى: "الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[7]،فقد ذكر الجبائي أن الآية نزلت عندما "أراد المشركون أن يغزو الرسول في الشهر الحرام، فيقاتلوه".[8]

---

[1] انظر: المصدر نفسه، ص 101.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص 101.

[4] سورة البقرة، الآية 108.

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص78.، وأخرجه الترمذي (2180) بألفاظ مختلفة، والحديث مروي عن أبي واقد الليثي بلفظ: "أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ لمَّا خرجَ إلى خيبرَ مرَّ بشجرةٍ للمُشركينَ يقالُ لَها ذاتُ أنواط يعلِّقونَ عليْها أسلحتَهم فقالوا يا رسولَ اللهِ اجعَل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لَهم ذاتُ أنواطٍ فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ سبحانَ اللهِ هذا كما قالَ قومُ موسى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ والَّذي نفسي بيدِهِ لترْكبُنَّ سنَّةَ مَن كانَ قبلَكم." ولكن لم يذكر في الحديث أن المشركين كانوا يعبدونها. مع ذلك أن في صحيح ابن حبان (6702) مذكورة أنهم يدعونها: "لمَّا افتَتَح رسولُ اللهِ مكَّةَ خرَج بنا معه قِبَلَ هَوَازانَ حتَّى مرَرْنا على سِدرةِ الكفَّارِ: سدرةٍ يعكُفونَ حولَها ويَدْعونَها ذاتَ أنواطٍ قُلْنا: يا رسولَ اللهِ اجعَلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (اللهُ أكبَرُ إنَّها السَّنَنُ هذا كما قالت بنوإسرائيلَ لموسى: اجعَلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ قال :إنَّكم قومٌ تجهَلونَ، ثمَّ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (إنَّكم لَتركَبُنَّ سَنَنَ مَن قبْلَكم)."

[6] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص78.

[7] سورة البقرة، الآية 194.

[8] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص100.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير العقلي

من المعلوم أن التفسير العقلي "يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية، التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ، وفهم دلالتها"[1]، وأنه يقوم على اجتهاد المفسر، وإعمال عقله، وعمق نظره.[2]

و يُلحظ أن للعقل دورًا كبيرًا في تفسير الجبائي؛ لأنه يرى "أن العقل يستطيع أن يصل إلى كليات الأحكام المتصلة بالله وصفاته من التوحيد والعدل ووجوب شكره، كما أنه يعرف الحسن والقبح على الجملة، وتختص الشريعة بأنها تكشف له عن الطرائق التي يستطيع عن طريقها أن يؤدي هذه الواجبات العقلية، وتختص الشريعة بأن تعرّف العقل مقادير الطاعات كالصلاة والصوم والزكاة ومواقيتها، وهي أمور لا يستطيع العقل أن يعرفها".[3]

بالإضافة إلى ذلك فإنه لم يغمض عن الأثر، بل إنه جمع بين النقل والعقل في تفسيره؛ غير أنه كان يرجح العقل، وذلك وفقا للمنهج الاعتزالي الذي كان عليه.

ويمكن القول بأن تفسير الجبائي بالرأي كان يتمثل في الآتي:

أولا: اعتماده على الاستدلال العقلي

كان الجبائي يستخدم المنهجين العقلي والنقلي في القضايا الفقهية، واللغوية؛ ولم يستعمل المنهج النقلي في المسائل العقدية، وعندما يحاول أن يثبت القضايا العقدية، اعتمد على استدلاله العقلي فقط.

فعلى سبيل المثال، من المعلوم أن القرآن محدث مخلوق عند المعتزلة، وفسر الجبائي قوله تعالى: "الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"[4] على هذا الرأي باستدلاله العقلي من ثلاثة أوجه: أولا: "قال المحكم هو الذي أتقنه فاعله، ولولا أن الله تعالى يحدث هذا القرآن وإلا لم يصح ذلك؛ لأن الإحكام لا يكون إلا في الأفعال، ولا يجوز أن يقال: كان موجوداً غير محكم ثم جعله الله محكماً؛ لأن هذا يقتضي في بعضه الذي جعله محكماً أن يكون محدثاً، ولم يقل أحد بأن القرآن بعضه قديم وبعضه محدث. ثانيا: أن قوله: "ثُمَّ فُصّلَتْ" يدل على أنه حصل فيه انفصال وافتراق، ويدل على أن ذلك

---

[1] الخالدي، تعريف الدارسين، ص 414.

[2] أنظر: المصدر نفسه، ص 414.

[3] حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص 60.

[4] سورة هود، الآية 1.

الانفصال والافتراق إنما حصل بجعل جاعل، وتكوين مكون، وذلك أيضاً يدل على المطلوب. ثالثا: قوله: "مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" والمراد من عنده، والقديم لا يجوز أن يقال: إنه حصل من عند قديم آخر، لأنهما لو كانا قديمين لم يكن القول بأن أحدهما حصل من عند الآخر أولى من العكس."[1] وفي هذا دلالة على اعتماد الجبائي على المنهج العقلي في تفسير الآية الكريمة وفق رأيه الاعتزالي في هذه المسألة.

ثانيا: أفضلية الدليل العقلي

يرى الجبائي أن الدليل العقلي أقوى الأدلة في الاحتجاج على ما ذهب إليه من آراء كما ذكر في تفسير قوله تعالى: "وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ"[2]، وفسر الجبائي هذه الآية على مذهبه أن الله تعالى منزه عن فعل القبيح وإرادة الكفر، فأشار إلى أن المراد من الآية "الاستفهام بمعنى الإنكار كأن موسى عليه السلام قال لئلا يضلوا عن سبيلك"،[3] بجانب ذلك ذكر في نهاية بيانه أن الدليل العقلي يدل على "أن الله تعالى لا يضل العباد عن الدين، ودليل العقل أقوى من ما يكون في الكلام دالا على حرف الاستفهام"[4]، ولكن لا يمكن قبول تأويله؛ لأنه قلب الإثبات نفياً، وإنه يقتضي تحريف القرآن، ويفتح باب تأويلات الباطنية.

ثالثا: تعقبه أقوال الصحابة والمفسرين

من الواضح أن الجبائي فسر القرآن وفقا لعقيدته الاعتزالية، وانتقد الآراء المخالفة بقوة، فمثلاً، وردت روايات عديدة عن الصحابة والتابعين[5] في معنى "وزِيادَةٌ" في قوله تعالى: "لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ"[6] فمن هذه الروايات قول أبي بكر رضي عنه: إن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة، ورد الجبائي هذه الرواية على بوجوه مختلفة: أولا، "إن الدلائل العقلية دلت على امتناع رؤية الله تعالى فهذا ممنوع"،[7] ثانيا، إن هذه الرواية لا تثبت عند الرواة، ولو صح لكان معارضا بما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أنهم قالوا: إنها تضعيف الحسنات. ثالثا، أثبتت الآيتان "مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ

---

[1] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 303-304.

[2] سورة يونس، الآية 88.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.17، ص 120-122.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 300.

[5] فمنهم قول علي رضي الله عنه أن الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة، وقول ابن عباس أنها عشر أمثال الحسنة، وقول الحسن أنها عشر أمثالها إلسبعمائة ضعف، وقول مجاهد أنها مغفرة الله ورضوانه... (تفسير الجبائي، ص 295-296).

[6] سورة يونس، الآية 26.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.17، ص 63.

فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا"[1] و"فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ"[2] أن معنى الزيادة "ما يزيده الله تعالى على هذا الثواب من التفضل".[3]

وهو لم يعقب على أقوال الصحابة والتابعين بسبب عقيدته فحسب، بل انتقدها لمخالفتها العقل من وجهة نظره، فمثلا، اختلف المفسرون في ماهية الشاهد في قوله تعالى: "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهو مِنَ الْكَاذِبِينَ"[4]، واشتهر فيها ثلاثة أقوال: أنه كان رجلاً حكيماً، وأنه كان صبياً أنطقه الله تعالى في المهد منقولًا عن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما والضحاك، وأنه كان قميص يوسف عليه السلام، والجبائي اختار القول الأول كما ذهب إليه معظم المفسرين وانتقد القول الثاني، وقال: لو كان طفلًا أنطقه الله تعالى في المهد لكان معجزًا وقوله حجةً قاطعةً لا يحتاج إلى الدليل الثاني.[5]

رابعا: الجبائي المتكلم وأثر ذلك في تفسيره

أثناء كلامنا عن حياة الجبائي ذكرنا أنه كان قويًا في الجدل، حيث وردت العديد من الروايات في كتب طبقات المعتزلة عن تغلبه على خصومه بالأدلة العقلية، و نلحظ أنه في تفسيره قد استعمل الأسلوب الجدلي في بيان كثير من الآيات الكريمة.

ومع ذلك، يمكننا القول بأنه عندما يتعلق شرح الآية بمسألة مثيرة للجدل، نرى في بيان الجبائي نزعة الإسهاب، والتفريع، والتفصيل.

ومثال ذلك ما ذكره في قوله تعالى: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ"[6] أربعة أدلة في أن الشيطان ضعيف لا يقدر على صرع الناس، كما أنه نقض أدلة خصمه، وذكر دليلا على رأيه بما يأتي: أولا: إن قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَٰنٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى"[7] يدل على أن ليس للشيطان قدرة على الصرع، والقتل، والإيذاء، ثانيا: إن الشيطان إما كثيف الجسم أو من الأجسام اللطيفة، فإن كان كثيف الجسم وجب أن يُرى ويُشاهد، فكيف

---

[1] سورة الانعام، الآية 160.

[2] سورة النساء، الآية 173.

[3] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 295-296.

[4] سورة يوسف، الآية 26.

[5] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ18، ص 99.

[6] سورة البقرة، الآية 275.

[7] سورة إبراهيم، الآية 22.

يمكنه أن يدخل في باطن بدن الإنسان، وأما إن كان جسماً لطيفاً كالهواء، فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله، ثالثا: لو كان الشيطان يقدر على أن يصرع لصح أن يفعل معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك يجر إلى الطعن في النبوّة، رابعا: إن الشيطان لو قدر على الصرع فلم لا يصرع جميع المؤمنين، ولم لا يغصب أموالهم، ويزيل عقولهم؟[1]

ولم يكتف الجبائي بذكر أدلته، فعرض حجج خصمه ونقضها، وأشار إلى أن دليل الأول "ما روي أن الشياطين في زمان سليمان بن داود عليهما السلام كانوا يعملون الأعمال الشاقة على ما حكى الله عنهم أنهم كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب"[2] ورد هذا الدليل بقوله: "إنه تعالى كلفهم في زمن سليمان فعند ذلك قدروا على هذه الأفعال وكان ذلك من المعجزات لسليمان عليه السلام"[3] وذكر أن الدليل الثاني هو قوله تعالى: "يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ" بسبب مسّه، وأجاب عن هذه الحجة بقوله: "إن الشيطان يمسّه بوسوسته المؤذية التي يحدث عندها الصرع، وهو كقول أيوب عليه السلام "أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ"[4]، وإنما يحدث الصرع عند تلك الوسوسة؛ لأن الله تعالى خلقه من ضعف الطباع."[5]

ومثال آخر، احتج الجبائي بقوله تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[6] على كون القرآن مخلوقاً من أربعة أوجه؛ الأول: إن قوله: "تِلۡكَ ءايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ" يدل على أنه مركب من الآيات والكلمات، وكل ما كان مركباً كان محدثاً، والثاني: إن قوله "إنا أنزلناه" يدل عليه، فإن القديم لا يجوز تنزيله وإنزاله وتحويله من حال إلى حال، والثالث: إنه تعالى وصفه بكونه عربياً والقديم لا يكون عربياً ولا فارسياً، والرابع: إنه لما قال: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيّا" دل على أنه تعالى كان قادراً على أن ينزله لا عربياً، وذلك يدل على حدوثه[7]، ولكن كل ما ذكر الجبائي في تفسير هذه الآية دليلًا على قوله في خلق القرآن ساقط؛ لأن أيضا ترى الأشاعرة أن الحروف، والأصوات، والكلمات من المركبات،

---

[1] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 119.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ7، ص 78.

[3] المصدر نفسه، جـ7، ص 78.

[4] سورة ص، الآية 41.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ7، ص 78.

[6] سورة يوسف، الآيتان 2-3.

[7] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ18، ص 67-68.

والمركبات حوادث بالضرورة، لا نزاع فيه بينهم، في المقابل أنهم يعتقدون أن القرآن أزلي فحسب، أما لفظ القرآن مخلوق.[1]

ومن أمثلة استعمال الجبائي الأسلوب الجدلي في تفسير بعض الآيات بيان قوله تعالى: "فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا"[2]، أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بموسى المذكور في هذه القصة هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام، أما الجبائي فاعترض على هذا القول، وذكر أن المراد بموسى المذكور في هذه القصة هو موسى آخر، ووضح رأيه أن الألفاظ المذكورة في هذه الآيات تدل على أن هذا العبد أعلى شأنا من موسى عليه السلام، وكون الخضر أعلى شأناً من موسى عليه السلام غير جائز؛ لأن الخضر "إما أن يقال إنه كان من بني إسرائيل، أو ما كان من بني إسرائيل، فلو أنه كان من بني إسرائيل فقد كان من أمة موسى عليه السلام لقوله تعالى: "أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرٰءِيلَ"[3]، والأمة لا تكون أعلى حالاً من نبيها، ولو أنه ما كان من بني إسرائيل لم يجز أن يكون أفضل من موسى عليه السلام لقوله تعالى: لبني إسرائيل: "وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ"[4]، وهذه الكلمات تقوي القول: إن موسى هذا غير موسى صاحب التوراة"،[5] نرى في الأقوال الجدلية هذه وصولاً إلى نتيجة غير صحيحة اعتمادًا على العقل فحسب، لأن الصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن، ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أن المراد من موسى في قوله تعالى موسى بن عمران عليه السلام.[6]

خامسا: وجود بعض الإشارات العلمية في تفسيره

كان الجبائي في تفسيره يشير إلى الجوانب العلمية في الآيات القرآنية، فقد احتج في تفسير بعض الآيات بكثير من الحجج العلمية، فمثلًا اعترض في قوله تعالى: "وهو الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

---

[1] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.18، ص 68.

[2] سورة الكهف، الآية 65.

[3] سورة الشعراء، الآية 17.

[4] سورة البقرة، الآية 47.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.21-ص 127.

[6] إن الرواية الصحيحة هي: قال البخاري: "حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمر بن دينار، أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، قال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم..." أخرجه البخاري برقم 6660، ورقم 6666 و6660 كتاب التفسير؛ وأخرجه مسلم برقم 6666 كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر.

فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ"[1] على من يرى أن ظاهر النص يحتاج إلى التأويل؛ لأن البخارات تجتمع في باطن الأرض، ثم تصعد وترتفع إلى الهواء، أي أن المطر تولد من بخار الأرض، وعرض ثلاثة أدلة في بطلان قولهم، ثم ذهب إلى أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب بمعنى أنه يخلق هذه الأجسام في السماء، ومن السحاب إلى الأرض.[2]

وأيضا بحث في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[3] عن مواضع البحار في العالم بشكل واسع؛ نحوأسمائها، ومواقعها، وكمية مقدارها وعرضها.[4]

وفي المقابل نجد أن بعض استنباطاته لا تتطابق مع الحقائق العلمية الحالية، فعلى سبيل المثال أشار في بيان قوله تعالى: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً"[5] إلى أن الأرض منبسطة، وليست كروية ذاكرًا سبب استنباطه بشرح طويل مع الأدلة العقلية.[6]

سادسا: تأويل الآية مع الدليل العقلي تكلفًا

لقد أعطت المعتزلة دورًا أساسيًا للعقل، "وجعلوا الدليل السمعي تابعًا للدليل العقلي ومترتبًا عليه. أي أنهم جعلوا الدليل العقلي أصلًا، والدليل الشرعي فرعًا على الدليل العقلي،"[7] وهذا نجده في تفسير الجبائي، فعلى سبيل المثال، يقتضي ظاهر الآية "ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ"[8] أن المشركين حلفوا في القيامة على أنهم ما كانوا مشركين في الدنيا، ومع ذلك تشير كثير من الآيات إلى أن الكفار يكذبون في القيامة نحو أن الله تعالى حكى عن الكفار أنهم يقولون: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ"[9] مع أنه تعالى أخبر عنهم بقوله: "وَلَوْرُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

---

[1] سورة الانعام، الآية 99.

[2] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ13، ص 86-87.

[3] سورة البقرة، الآية 164.

[4] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 91-92.

[5] سورة البقرة، الآية 22.

[6] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 68.

[7] المصدر نفسه، ص 59.

[8] سورة الأنعام، الآية 23.

[9] سورة المؤمنون، الآية 107.

لَكَاذِبُونَ"[1] وأيضا قوله تعالى: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ"[2] يدل على إقدامهم على الكذب.[3]

وخالف الجبائي في قوله هذه الحجج عندما يذهب إلى أن الكفار مضطرون إلى الصدق يوم القيامة، وأوّل الآية بقوله: "ما كنا مشركين في اعتقادنا وظنوننا، وذلك لأن القوم كانوا يعتقدون أنفسهم أنهم كانوا موحدين متباعدين من الشرك"[4]، ويذكر ثلاث حجج؛ أولها: "أن أهل القيامة يعرفون الله تعالى بالاضطرار"، ويجب "أن يكونوا ملجئين إلى أن لا يفعلوا القبيح"، وثانيها: إن القوم الذين أقدموا على الكذب إما إنهم ما كانوا عقلاء أو كانوا عقلاء، "وإنهم كانوا عقلاء فهم يعلمون أن لله تعالى عالم بأحوالهم، مطلع على أفعالهم ويعلمون أن تجويز الكذب على الله محال"، وثالثها: "إنهم لو كذبوا في القيامة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد أقدموا على هذين النوعين من القبح، والذنب وذلك يوجب العقاب، فتصير الدار الآخرة دار التكليف".[5]

سابعا: الاستشهاد بالآيات لتأييد الدليل العقلي

على الرغم من أن المعتزلة والجبائي أعطوا للعقل دورًا أوليًا، فقد استعانوا بالنقل لتأييد آرائهم، فنرى في تفسير أبي علي أنه ذكر بعض الآيات بعد استدلاله بالحجة العقلية، حيث إن دور النقل عنده لمتابعة العقل فقط.

ومن أمثلة على ذلك ما ذكر الجبائي في تفسير قوله تعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء"[6] أن الله تعالى يذل أعداءه في الدنيا والآخرة، ولا يذل أحدًا من المسلمين في الدنيا والآخرة وإن أفقرهم، وأمرضهم، وأحوجهم إلى غيرهم؛ لأن الله تعالى إنما يفعل هذه الأشياء ليعزهم في الآخرة، ويشبه بأس المسلمين في الدنيا بالفصد والحجامة،[7] "فإنهما وإن كانا يؤلمان في الحال إلا أنهما لما كانا يستعقبان نفعاً عظيماً لا جرم لا يقال

---

[1] سورة الانعام، الآية 28.

[2] سورة المجادلة، الآية 18.

[3] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.12، ص 151-153.

[4] المصدر نفسه، جـ.12، ص 151-153.

[5] المصدر نفسه، جـ.12، ص 151-153.

[6] سورة آل عمران، الآية 26.

[7] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.8-ص 7-8.

فيهما: إنهما تعذيب"[1]، وبعد ذلك استشهد بالآية "أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ"[2] تأييدًا على رأيه ويذكر إذا وصف الفقر بأنه ذل فعلى وجه المجاز كما سمى الله تعالى لين المؤمنين في الآية.[3]

[1] المصدر نفسه، جـ8-ص 7-8.

[2] سورة المائدة، الآية 54.

[3] أنظر: المصدر نفسه، جـ8-ص 7-8.

المبحث الثالث: منهجه في اللغة

المطلب الأول: اللغة

إن من شروط التفسير المعتبر معرفة المفسر قواعد اللغة العربية، كما لا بد أن يكون التفسير بالرأي وفقًا للقواعد اللغوية.[1]

قد يظهر في تفسير الجبائي أنه أوّل بعض الآيات استنادًا إلى اللغة العربية، فعلى سبيل المثال، عندما يوضح أن إرادة الله محدثة في قوله تعالى: "وَلَوأَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ"[2] استعان باللغة، وذكر أن الاستثناء في الآية يدل على حدوث مشيئة الله تعالى؛ لأنها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء، كما لا يقال: لا يذهب زيد إلى البصرة إلا أن يقدر الله تعالى أو إلا أن يعلم الله تعالى.[3]

وأيضا استعان باللغة عندما يعارض ظاهر الآية أسس المعتزلة، فهو يشير في قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[4] إلى أن الله تعالى صرف الآيات لسببين: ليقولوا درست، ولنبينه لقوم يعلمون، وإن ظاهر الوجه الأول مشكل للمعتزلة؛ لأن قول الناس للرسول درست كفر لهم بالقرآن والرسول، ويفيد ذلك أن الله تعالى يضل الكفار من طريق الهداية، وأن الأشاعرة أجروا الآية على ظاهرها، فقالوا: "معناه إنا ذكرنا هذه الدلائل حالاً بعد حال ليقول بعضهم درست فيزداد كفراً على كفر، وتثبيتاً لبعضهم فيزداد إيماناً على إيمان، ونظيره قوله تعالى: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا"[5]. أما الجبائي فحمل الآية على وجهين: "الأول أن يحمل هذا الإثبات على النفي، والتقدير وكذلك نصرف الآيات لئلا يقولوا درست، ونظيره قوله تعالى: "يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ"[6] ومعناه لئلا تضلوا، والثاني أن تحمل هذه اللام على لام العاقبة، والتقدير أن عاقبة أمرهم عند تصريفنا هذه الآيات أن يقولوا هذا القول"[7]، فاعترض الرازي على هذين الوجهين، وقال إن الوجه الأول ضعيف؛ لأن حمل الإثبات على النفي تحريف لكلام الله وتغيير له، وأما الوجه الثاني بعيد أيضا؛ لأن حمل هذه اللام على لام العاقبة

---

[1] أنظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، جـ1-ص 255.

[2] سورة الأنعام، الآية 111.

[3] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ13، ص 124.

[4] سورة الأنعام، الآية 105.

[5] سورة البقرة، الآية 26، والرازي، مفاتيح الغيب، جـ13، ص 111.

[6] سورة النساء، الآية 176.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ13، ص 111-112.

مجاز، وحمله على لام الغرض حقيقة، والحقيقة أقوى من المجاز، فلو قلنا اللام في قوله "وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ" لام العاقبة وفي قوله "وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" للحقيقة فقد حصل تقديم المجاز على الحقيقة في الذكر وأنه لا يجوز."[1]

ومن الجدير بالذكر أن الجبائي يرى مثل رأي الأشعري "أن اللغات كلها توقيفية، بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ وتلك المعاني"[2] خلافًا أغلب المعتزلة، واحتج عليه بقوله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"[3]، وتعرّض اختياره هذا لانتقادات، إذ "تعد فكرة الاصطلاح في اللغة عند المعتزلة ضرورية لنفي مشابهة الله للبشر."[4]

ومن أبرز سمات تفسير الجبائي في تعامله مع اللغة:

- **بيان الكلمات والاصطلاحات ودلالتها**

عمد الجبائي إلى تحليل الكلمات والاصطلاحات بشكل عميق عندما كان يصرح برأيه، فمثلًا ما قارن كون الله تعالى قادرًا على كل شيء في قوله تعالى: "أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."[5] مع كون الله تعالى خالق كل شيء في قوله تعالى: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ"[6] وبين أن قدرة الله أعم من خلق الله؛ لأنه يتناول المستقبل، والخلق لا يتناوله، فيجب على لفظ الخلق أن يكون أخص منه من حيث كان المعدوم غير مخلوق وإن كان مقدورًا، وانتقل من هذا الشرح إلى مسألة أفعال العباد،[7] فقال "كذلك فعل العباد غير مخلوق وإن كان مقدورًا، ويمكن أن يقال إن كونه خالقًا ينبىء عن تقدم حال مع المقدور، وهو كونه قادرًا عليه، فما يثبت ذلك فيه يجب أن يكون داخلًا تحت العموم فيجب أن يدل أولًا أن أفعال العباد مقدورة له تعالى حتى يتناوله العموم، ويمكن أن يحمل ذلك على أن المراد به أنه مقدر كل شيء ومدبره، ولا يمتنع عندنا كونه مقدرًا لأفعال العباد وإن لم تكن من فعله بأن يبين أحواله ويقدر على إيجاده أو يعدمه."[8]

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ13، ص 111-112.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 71.

[3] سورة البقرة، الآية 31.

[4] حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص 72.

[5] سورة الطلاق، الآية 12.

[6] سورة الزمر، الآية 62.

[7] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 469.

[8] المصدر نفسه، ص 469.

والمثال الثاني، ركز فيه على لفظ الإحصاء في قوله تعالى: "وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً"[1]، وبيّن أنه بمنزلة الفعل وليس بمنزلة العلم، فلا يجوز أن يقال أحصى ما لا يتناهى، مع ذلك "يجوز أن يقال علم ما لا يتناهى، فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات، وإن حمل على العدّ تناول الموجودات".[2]

ولما شرح تفسير مراد تقلب القلوب والأبصار في قوله تعالى: "يخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ"[3] فذكر أنه تغير أشكالهما بسبب العذاب، وقد يكون المراد به أيضا تقلبهما على جمر جهنم.[4]

وكذلك وضّح الجبائي دلالة الألفاظ القرآنية في تفسيره، فعلى سبيل المثال، تعدد أقوال المفسرين في مدلول الصفة الثانية ليحيى عليه السلام في قوله تعالى: "أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ"[5]، حيث ذكر ابن عباس رضي الله عنه أنه السيد الحليم، ومجاهد أنه الكريم على الله، وعكرمة أنه الذي لا يغلبه الغضب،[6] والقاضي عبد الجبار أنه "المتقدم المرجوع إليه، فلما كان سيداً في الدين كان مرجوعاً إليه في الدين وقدوة في الدين، فيدخل فيه جميع الصفات المذكورة من العلم والحلم والكرم والعفة والزهد والورع"[7]، وقال الجبائي: "إنه كان سيداً للمؤمنين، رئيساً لهم في الدين، أي في العلم، والحلم، والعبادة، والورع".[8]

ومثال آخر على ذلك، أن المفسرين حاولوا أن يبينوا مَن المقصود "في النار" و"من حولها" في قوله تعالى: "فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[9]، فاختلفوا فيه على وجوه: أولها مروي عن ابن عباس، أن من في النار هو الله تعالى، ومن حولها ملائكة. وثانيها مروي عن قتادة، والزجاج، أن من في النار هو نور الله، ومن حولها ملائكة، ويجب أن نقول قبل ذكر القول الثالث أن رواية ابن عباس اعتبِرت موضوعة،[10] وفي نفس الوقت، أن روايته ورواية قتادة، والزجاج أيضا مشكلة من حيث التجسيم، لا يمكن قبول كون الله تعالى أو نوره في النار، وثالثها قول

---

[1] سورة الجن، الآية 28.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 476.

[3] سورة النور، الآية 37.

[4] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.24-ص 6.

[5] سورة آل عمران، الآية 39.

[6] أنظر: ابن الكثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، 2002، جـ.2-ص.38.

[7] المصدر نفسه، جـ.8-ص 32.

[8] أنظر: المصدر نفسه، جـ.8-ص 32.

[9] سورة النمل، الآية 8.

[10] أنظر: المصدر نفسه، جـ.24-ص 156.

الزمخشري، أن المقصود من في مكان النار ومن حول مكانها هي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: "من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة"[1] ورابعها، من في النار هو موسى عليه السلام لقربه منها، وإن من حولها ملائكة، وأما الجبائي بيّن أن من في النار شجرة في البقعة المباركة، ومن حولها ملائكة، وشرح رأيه أن الله تعالى ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة، فكانت الشجرة محلا للكلام، وأن الشجرة كانت في النار، فلذلك قاله تعالى في الآية "بورك من في النار ومن حولها".[2]

ونرى في تأويل بعض الآيات أن الجبائي حمل معنى الألفاظ القرآنية إلى المعاني البعيدة، فقد ذكر في قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً"[3] أن معنى الجعل في الآية تعريف أي حكم، كما يقال فيمن سرق إن فلاناً لص جعله لصاً.[4]

- **استشهاده بالشعر وأقوال العرب**

يقال في كتب الرجال والطبقات: إن الجبائي ذكر من حفظه أشعارًا كثيرة،[5] لكن لا نستطيع أن نرى في تفسيره الذي بين أيدينا استعماله الشعر في تفسير الآيات كثيرًا، ومنها ما روي أنه استشهد بالشعر في تفسير السجود في قوله تعالى: "وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ"[6] ويقول بأن السجود خضوع كما في قول الشاعر:[7]

بخيل تضل البلق[8] من حجراته ترى الأكم فيها سجدا للحوافر[9]

وأيضا استدل بالشعر في تفسير أغويتني في قوله تعالى: " قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"، فذكر أن "معناه بما خيبتني من جنتك، كما قال الشاعر:

---

[1] سورة القصص، الآية 30.

[2] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ24-ص 156.

[3] سورة الفرقان، الآية 20.

[4] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ24-ص 58.

[5] أنظر: فؤاد سيد، فضل الاعتزال، ص 293.

[6] سورة الرحمن، الآية 6.

[7] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 461.

[8] هو الخيل فيه بياض، وسواد.

[9] هذه الأبيات قالها زيد الخيل و هو "زيد بن مهلهل أبو مكنف الطائي النبهاني المعروف بزيد الخيل في الجاهلية وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم فسماه زيد الخير وكان من فرسان العرب وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا زيد فما رأيتك حتى أحببت أن أراك وقال ما ذكر لي رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر إلا ما كان من زيد فإنه لم يبلغ كل ما فيه، وقطع له فيدا وأرضين وكتب له بذلك كتابا وتوفي بعد انصرافه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة وأخباره كثيرة في كتاب الأغاني وكان جسيما طويلا جميلا موصوفا بطول القامة وحسن الجسم وهو القائل من الطويل". (الصفدي، الوافي بالوفيات).

من يلق خيرًا يحمد النَّاس أمره ومن يغو لا يعدم عَلَى الغي لائما[1]

أي من يخب."[2]

واستعمل الجبائي في شرح دلالة الألفاظ أقوال العرب لتيسير فهم الآية، فقد وضّح معنى خلق الإنسان عجولا في قوله تعالى: "خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ"[3] بذكره استعمال العرب هذا اللفظ، وقال: إن العرب يستعملون هذه العبارة عند المبالغة نحو يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم: ما خلق إلا من النوم، وعلى ذلك فإن معنى الآية : الإنسان يستعجل في كل شيء يشتهيه.[4]

- **التعليل اللغوي**

إن الجبائي حاول أن يبيّن سبب ورود الاستثناء في الآيات، فمنه تفسير قوله تعالى: "لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ"[5]، فقال: قضى الوقت بين نزول الآية والدخول إلى المسجد الحرام، وقد مات بعض الأصحاب الكرام في هذه الفترة.[6] والمثال الثاني تفسير معنى الاستثناء في قوله تعالى: "قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ"[7] أن تقديره إلا ما شاء الله من الفائت بين وقت الحشر وزمان المعاقبة، بمعنى أنهم من الخالدين في النار إلا ما شاء الله من الفائت قبل العذاب.[8] والمثال الثالث بيان الجبائي قوله تعالى: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا"[9] فإن المفسرين اختلفوا في الاستثناء وتقديره، وبين الجبائي أن تقدير الآية "قليلًا منكم" واستثنِي الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون الفضل بالنبي والقرآن الكريم.[10]

[1] هذه الأبيات قالها المرقش الأصغر و هو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة، والمرقش الأكبر عم الأصغر، والأصغر عم طرفة بن العبد." (أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني)

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 236.

[3] سورة الانبياء، الآية 37.

[4] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 382.

[5] سورة الفتح، الآية 27.

[6] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 456.

[7] سورة الأنعام، الآية 128.

[8] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 228.

[9] سورة النساء، الآية 83.

[10] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 168.

وبيّن فائدة صرف الكلام من الخطاب إلى الغائب في قوله تعالى: "هو الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ"[1]، فذكر أن في الآية مخاطبة الله تعالى لعباده على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام، "فهي بمنزلة الخبر عن الغائب، وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه أن يرده مرة أخرى إلى الغائب".[2]

ووضّح معنى التقرير في الاستفهام في قوله تعالى: "هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا"[3] ذاكرًا أنه على ألطف الوجوه بقوله: "أيُّها المنكر للصانع وقدرته، أليس قد أتى عليك دهور لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم ذكرت، وكل أحد يعلم من نفسه أنه لم يكن موجوداً، ثم وجد، فإذا تفكَّر في ذلك علم أن له صانعاً صنعه ومحدثاً أحدثه".[4]

واحتج الجبائي بالحصر في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ"[5] على أن من يدخل الجنة يدخلها بسبب استحقاقه، ليس تفضلاً؛ "لأن قوله "أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ" للحصر، دل على أنه ليس للجنة أصحاب إلا هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات".[6]

- **تحليل الكلمات**

ورد في تفسير الجبائي بعض البيانات اللغوية في الألفاظ القرآنية، فمثلا، بيّن أن طوبى تأنيث الأطيب من صفة الجنة في تفسير الآية الكريمة "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ"[7]، وأيضاً قال أن "كذبت" في قوله تعالى: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ"[8] استعمل تأنيثا بذكر القوم؛ لأن تقديره جماعة قوم نوح،[9] وأيضا ذكر في بيان قوله تعالى: "وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ"[10] أن "وكنا لحكمهم شاهدين" استعمل جميعًا في موضع

---

[1] سورة يونس، الآية 22.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.17-ص 56.

[3] سورة الإنسان، الآية 1.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 479-480.

[5] سورة البقرة، الآية 82.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.3-ص 149.

[7] سورة الرعد، الآية 29. وأنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 336.

[8] سورة الشعراء، الآية 105.

[9] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 405.

[10] سورة الأنبياء، الآية 78.

التثنية، وهو كناية عن الاثنين، ولا يمكن الاستدلال به على أن أقل الجمع اثنان.[1] وقال في قوله تعالى: "وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ"[2] إن اللام في "لتصغى" لام الأمر.[3]

المطلب الثاني: النحو

من الجدير بالذكر أن الروايات التفسيرية التي أسندت إلى الجبائي ليست ثريتاً من ناحية اللغة خاصة علم النحو، مع ذلك نفهم من بياناته القليلة في علم النحو أنه استعمله في فهم دلالات الالفاظ القرآنية.

ومن أبرز سمات تفسير الجبائي في تعامله مع النحو:

- **بيان وجه الإعراب في اللفظ القرآني**

أعرب الجبائي بعض الكلمات الواردة في الآيات الكريمة، فقد أشار في قوله تعالى: "مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ"[4] إلى أن الواو للحال،[5] وقال في قوله تعالى: "وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ"[6] إن "جواب القسم محذوف، وتقديره الأمر حق في الجزاء على الأعمال"[7]، وأيضا قال إن عامل اللفظ "كما" في قوله تعالى: "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ"[8] الفعل الذي قبله في قوله تعالى:[9] "وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ".[10]

ووضح في قوله تعالى: "وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ"[11] أن "صلوات" معطوفة على قربات بمعنى يطلبون بالإنفاق قربة الله وصلوات

---

[1] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 383.

[2] سورة الأنعام، الآية 113.

[3] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 225.

[4] سورة آل عمران، الآية 113.

[5] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 138

[6] سورة البروج، الآية 3.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 486.

[8] سورة البقرة، الآية 151.

[9] سورة البقرة، الآية 150.

[10] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 87.

[11] سورة التوبة، الآية 99.

الرسول،[1] وأيضا حمل إعراب "ومن اتبعك" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[2] على الوجهين؛ أحدهما: أن يكون نصبا، والمعنى على ذلك يكفيك الله ويكفي من اتبعك؛ والثاني: أن يكون رفعا، ويصبح العطف على اسم الله على ذلك الوجه.[3]

وشرح الجبائي مرجع الضمائر عندما تحتاج الآية إلى التوضيح، فمثلا ذكر في قوله تعالى: "فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ"[4] أن الضمير في "فمنهم من ءامن" عائد إلى أهل الكتاب من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي تقدم ذكرهم في الآية[5] "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم... ".[6]

والمثال الثاني بيانه قوله تعالى: "فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ"[7]، وقال: إن الهاء تعود إلى أبي بكر رضي الله عنه، ليس النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه كان خائفاً ومحتاجًا إلى الأمن، لا النبي صلى الله عليه وسلم[8]، في المقابل ذكر بعض المفسرين أن الهاء تعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مع ذلك فسر الآية بنفس الطريق، فمثلا قال أبو السعود أن المراد بالآية "ما لا يحوم حوله شائبة الخوف أصلاً أو على صاحبه إذ هو المنزعج، وأما النبـي صلى الله عليه وسلم فكان على طُمَأْنينة من أمره"[9]، وبعضهم فسر الآية على كلا القولين.[10]

والمثال الثالث تفسير قوله تعالى: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَو أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ"[11]، واختلاف المفسرين في كناية "مِنْهَا" في الآية: فأرجعها بعضهم إلى القلوب، وبعضهم إلى

---

[1] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 289.

[2] سورة الانفال، الآية 64.

[3] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 273.

[4] سورة النساء، الآية 55.

[5] سورة النساء، الآية 47.

[6] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 160-161.

[7] سورة التوبة، الآية 40.

[8] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 282.

[9] أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ4-ص66.

[10] انظر: النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، ط1، بيروت، 1998، جـ1-ص681.

[11] سورة البقرة، الآية 74.

الحجارة، وهناك أيضًا اختلف من قال إن الضمير عائد إلى الحجارة في تأويلها، وذكر الجبائي أنها ترجع إلى الحجارة، وأوّلها بالبرَد الذي يهبط من السحاب تخويفاً من الله تعالى لعباده، ولكن نقد القاضي عبد الجبار هذا التأويل، وذكر أنه ترك ظاهر الآية من غير ضرورة؛ لأن البرَد لا يوصف بالحجارة.[1]

- **تناوب الحروف**

"اختلف العلماء في قضية تناوب الحروف، فمنهم من قال بإبطال وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر، وهذا مذهب البصريين، وهذا خلافا للكوفيين و من تابعهم كابن قتيبة و غيره".[2]

وذهب الجبائي إلى وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر، فقال: إن "حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض"[3]، فعلى سبيل المثال، بيّن معنى حرف الجر "مِن" في قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ"[4] بخشية الله، مثل ما قال في اللغة: يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله.[5]

وذكر في قوله تعالى: "يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ"[6] و"يَهْدِي لِلْحَقِّ"[7] أن أحدهما قام مقام الآخر، وأيضا قال: إن معنى حرف الجر في قوله "وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ"[8] على جذوع النخل، كما قد يقال في العرف: "زيد قوي على عمله" و"قوي في عمله" و"هو مستعل على عمرو ولعمرو".[9]

وأيضا قال في تفسير قوله تعالى: "إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"[10] إن معنى لفظ 'ناظرة' انتظار إلى، وإن لفظ الانتظار قد تعدى ببعض حروف الجر، فيقال: أنا منتظر لفلان، أو أنا منتظر إلى فلان، وعلى ذلك قام حرف الجر إلى في قوله تعالى مقام اللام.[11]

---

[1] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.3-ص 120-121.

[2] عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، دار الفرقان، ط.1، عمان، 1402، ص 5.

[3] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 479.

[4] سورة البقرة، الآية 74.

[5] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 75.

[6] سورة يونس، الآية 35.

[7] سورة يونس، الآية 35.

[8] سورة طه، الآية 71.

[9] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 479.

[10] سورة القيامة، الآية 23.

[11] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 478-479.

المطلب الثالث: البلاغة

الفرع الأول: علم المعاني

أولا: التوكيد

أشار الجبائي إلى فائدة التوكيد في مقدمته، وذكر أن الله تعالى خاطب الناس بلسانهم، فجرى في خطابهم على العادة المعروفة عندهم، فإنهم كانوا قد يؤكدون عند شدة اهتمام أحدهم بالكلام، ويقتصرون على القول عند خلافه.[1]

وأشار إلى المؤكدات في تفسيره، وأوضح سببهن، فمثال ذلك تفسير قوله تعالى: "إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"[2]، حيث ذكر الجبائي فيه أن دخول المؤكدة "إن" في الآية "لتدل على أن الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الأحوال والأوقات ما مضى منها وما يستقبل، وليس هوعارضا في حال."[3]

وكما ذكر في قوله تعالى: "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ"[4] أن تقدير الباء في بعذاب الإسقاط، ومعنى الآية سأل سائل عذابًا واقعًا، وورد الباء مزيدة للتوكيد مثل في قوله تعالى: "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ"[5].[6]

ثانيا: التكرار

يفهم من أقوال القاضي عبدالجبار أن الجبائي بحث عن ماهية التكرار، وأسبابه في مقدمة تفسيره.[7]

---

[1] أنظر: المصدر نفسه، ص 65.

[2] سورة النساء، الآية 76.

[3] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 164.

[4] سورة المعارج، الآية 1.

[5] سورة مريم، الآية 25.

[6] أنظر الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي ، ص 474.

[7] أنظر: المصدر نفسه،ن ص 62-65.

وبيّن الجبائي أن غرض التكرار في قصص الأنبياء هو التجدد، وتثبيت الفؤاد، كما أن الفصحاء قد يكررون القصة الواحدة في مواطن متفرقة بألفاظ مختلفة لأغراض التجدد، وذلك من دلالة الفضائل، لا من دلالة المعايب، وإنما يعاب الكلام المكرر في الموطن الواحد.[1]

وذكر أن الله تعالى أنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة حالا بعد حال، وفي فترة إنزال القرآن، عندما يضيق صدر الرسول لأمور عارضة من المشركين والكافرين، كان الله عز وجل يسليه بما ينزل عليه من قصص الأنبياء السابقين، ويعيد ذكر هذه القصص بحسب ما يعلمه من الصلاح، ولهذا قال الله تعالى "وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ"[2] فبين أن تثبيت الفؤاد هو الغرض.[3]

وأيضا قال الجبائي: إن الحروف والكلمات متكررة في كل الكلام، وإنما المعتبر فيه أغراض ومقاصد، فربما كان المشبه في اللفظ غير متكرر، وكان المتباين في اللفظ متكررًا.[4] وذكر بعض الآيات مثالًا على كلامه، فمنها تفسير قوله تعالى: "فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" من سورة الرحمن، فأشار إلى أنه ليس من التكرار[5]؛ "لأنه ذكر نعما بعد نعم، وعنى بكل قول غير ما عناه بالقول الأول"[6]، مثل كقول القائل لمن ينهى فلانًا عن قتل المسلم وظلمه، ويزجره عن القتل والظلم: "أتقتل زيدا وأنت تعرف فضله!، وأتقتل زيدا وأنت تعرف صلاحه!، ويكرر ذلك فيكون حسنا، ولا يعد تكرارا".[7]

والمثال الثاني أمر بالقراءة مرتين في قوله تعالى: "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ"[8]، وقد تعددت الآراء في تفسيره، وذكِر أن الأول للتعلم من جبريل عليه السلام، والثاني للتعليم، أو الأول اقرأ في صلاتك، والثاني خارج صلاتك[9]، وقال الجبائي إن الأمر بالقراءة

---

[1] أنظر: المصدر نفسه، ص 62.

[2] سورة هود، الآية 120.

[3] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 62.

[4] أنظر: المصدر نفسه، ص 65.

[5] أنظر: المصدر نفسه، ص 62-63.

[6] المصدر نفسه، ص 63.

[7] المصدر نفسه، ص 63.

[8] سورة العلق، الآيات 1-3.

[9] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ32-ص 17.

مرتين ليس من التكرار، واختار هوأن الأمر الأول أمر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم بمعنى اقرأ القرآن، والأمر الثاني للتبليغ.[1]

كما شرح فائدة التكرار في تفسير بعض الآيات، فمنه تكرار لفظ "إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي" و"إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ"[2] في الآية الواحدة، وذكر أن المقصود من الأولى علم وقت القيامة، وأما معنى الثانية فهو علم "كيفية القيامة، وشرح هيئتها، وتفصيل ما فيها."[3]

وأيضا بيّن فائدة تكرير الأمر بالهبوط في الآيتين من سورة البقرة[4]، فذكر أن الهبوط الأول غير الهبوط الثاني، "فالأول من الجنة إلى سماء الدنيا والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض"[5].

والمثال الثالث في شرح فائدة التكرار استعمال الاستغفار والتوبة في قوله تعالى: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ"[6]، فعدّ الجبائي أنهما مترادفان، وبذلك شرح سبب التكرار أنه مراد الله تعالى بقوله أن أقيموا على التوبة إليه؛ "لأن التائب إلى الله تعالى من ذنوبه يجب أن يكون تائبا إلى الله في كل وقت يذكر فيه ذنوبه بعد توبته الأولى؛ لأنه يجب أن يكون مقيما على الندم على ذلك، وعلى العزم على أن لا يعود إلى مثله؛ لأنه لونقض هذا العزم لكان عازما على العود، وذلك لا يجوز، وكذلك لونقض الندم لكان راضيا بالمعصية مسرورا بها وهذا لا يجوز." فالله تعالى أراد "بالتكرار التأكيد مع الأمر بالتوبة بعد التوبة، كما يقول أحدنا لغيره: اضرب زيدا ثم اضربه، وافعل هذا ثم افعل".[7]

وأيضا لم يقبل قول الجمهور في فائدة التكرار في قوله تعالى: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ"[8] أنه لتعظيم ذلك اليوم، وقال "بل هو لفائدة مجددة، إذ المراد بالأول أهل النار،

---

[1] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 491.

[2] سورة الأعراف، الآية 187.

[3] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 262.

[4] هما الآية 36: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" والآية 38: " قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ".

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ3ـص 25.

[6] سورة هود، الآية 90.

[7] أنظر: المصدر نفسه، ص 313.

[8] سورة الإنفطار، الآيتان 17-18.

والمراد بالثاني أهل الجنة، كأنه قال "وما أدراك ما يعامل به الفجار في يوم الدين؟ ثم ما أدراك ما يعامل به الأبرار في يوم الدين؟ وكرر يوم الدين تعظيما لما يفعله تعالى من الأمرين بهذين الفريقين."[1]

ثالثا: التعريف والتنكير

بحث الجبائي التعريفَ والتنكيرَ في تفسيره، فمثلًا بيّن سبب التنكير في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ"[2]، و قال إن المراد من الآية أن الذي فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه لرادك بعد الموت إلى معاد، وسبب تنكير المعاد لتعظيمه، أي ليس لغيرك من البشر مثل هذا المعاد.[3]

والمثال الثاني تفسير الجنة المذكورة في قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"[4]، واختلفت المعتزلة فيها هل هي في الأرض أو السماء، وهل هي جنة الخلد أو جنة أخرى على ثلاثة أقوال، أولها قول أبي القاسم البلخي، وأبي مسلم الأصفهاني أنها كانت من جنان الدنيا في الأرض، وليست جنة الخلد أو دار الثواب.[5] وثانيها: رأي أبي هاشم -ابن أبي علي الجبائي- أنها جنة من جنان السماء، وليست جنة الخلد،[6] وثالثها: رأي الجبائي وأكثر المعتزلة أنها جنة الخلد؛ لأن الكلمة جاءت بالألف واللام للتعريف، والجنة المعهودة المعلومة بين المسلمين هي جنة الخلد، وذكروا جواز كون وسوسة الشيطان من خارج الجنة، وقالوا بأن من ذهب إلى أن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح؛ لأن هذه إنما يكون إذا استقر فيها أهل الجنة فهي للثواب،[7] "فأما قبل ذلك، فإنها تفنى لقوله تعالى: 'كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ' "[8].

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ31-ص 78.

[2] سورة القصص، الآية 85.

[3] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 411.

[4] سورة البقرة، الآية 35.

[5] أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ3-ص 4.

[6] أنظر: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، ط1، بيروت، 2005، جـ1-ص 114.

[7] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 72.

[8] سورة القصص، الآية 88، و المصدر نفسه، ص 72.

رابعا: الحذف والذكر

أشار الجبائي في تفسير بعض الآيات إلى الحذف دون ذكر أغراضه، فمثلًا ذكر لتسهيل فهم الآية في قوله تعالى: "فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ"[1] أن لا بد من أن يكون على حذف "فاهتدوا" قبل لفظ بإذنه.[2]

والمثال الثاني، قال بأن المفعول محذوف في قوله تعالى: "مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ"[3] والمقصود من الآية هو "من الذي استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها إلى غير أهل دينه".[4]

والمثال الثالث تفسير قوله تعالى: "وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْيُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ"[5]، واختلف المفسرون في الواو، فذهب الجبائي إلى أن الواو واو استئناف وتم الكلام عند قوله "على حياة"، وتقدير قوله 'ومن الذين أشركوا' "ومن الذين أشركوا مَن يود لو يعمر ألف سنة، فحذف من".[6]

الفرع الثاني: علم البيان

أولا: المجاز

استعان المعتزلة في التأويل بالتوجه إلى المجاز، "وعدوا قصد المتكلم وإرادته معايرًا نهائيًا في تجاور الصيغ اللغوية، وأوّلوا كل ما كان ظاهره التجسيم من أي الذكر الحكيم أو خالف بعض ما في أصولهم الفكرية. وكانت غايتهم في ذلك توحيد الله تعالى وتنزيهه، والدفاع عن الإسلام، ورد مطاعن الخصوم".[7]

---

[1] سورة البقرة، الآية 213.

[2] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 105.

[3] سورة المائدة، الآية 107.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 200.

[5] سورة البقرة، الآية 96.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 77.

[7] السعيد شنوقة، التأويل في التفسير بين المعتزلة والسنة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص 429.

ونتيجة لذلك، كان للمعتزلة أثر كبير في انضاج مفهوم المجاز[1]؛ لأنها بالغت في استخدامه "من خلال سعيهم الدائب لنفي التصورات الشعبية عن الذات الالهية وعن أفعاله"[2]، وكذلك لحظنا من خلال استقراء تفسير الجبائي أنه عدّ كثيرًا من الألفاظ القرآنية مجازًا، فأغلب هذه الألفاظ تتعلق بذات الله وصفاته؛ لأنه حاول تجنب التجسيم والتشبيه، ونفي تعدد القدماء، وإثبات عدل الله تعالى في تفسيره.

ومن أمثلة تجنبه التجسيم والتشبيه، قال في تفسير قوله تعالى: "وهو الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ"[3] إنه لا يجوز وصف الله تعالى بلفظ "فوق عباده" على الحقيقة، وأن هذا اللفظ لم يستعمل إلا مجازًا، فالمراد من الآية القادر المستولي على العباد.[4]

والمثال الثاني تأويله وصف عيسى عليه السلام بكلمة الله في قوله تعالى: "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ"[5]، فذكر أنه مجاز، ووصف عيسى عليه السلام بالكلمة في الآية بسبب أن أمته يهتدون بعيسى عليه السلام، كما يهتدون بكلامه.[6]

والمثال الثالث تفسير قوله تعالى: "أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هو يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ"[7]، فذهب الجبائي إلى أن الله تعالى اعتبر أخذ من النبي والمسلمين الصدقات من قبيل التشبيه والمجاز؛ لأن فهم الآية على ظاهرها سيؤدي إلى تجسيم.[8]

وأكّد الجبائي مسألة العدل الإلهي في تفسيره، وعليه أوّل بعض الآيات بطرق مختلفة، فمنها تفسير الآية "وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا"[9]، حيث اعتبر الجبائي معنى المقيت مجازًا في الآية، وقال بأن المقصود من الآية أن الله تعالى كان مقتدرًا على كل شيء من الحسنات، وأما السيئات أسندت إليه مجازياً، فهو لم يخلق السيئات.[10]

---

[1] أنظر: حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص 5.

[2] المصدر نفسه، ص 5.

[3] سورة الأنعام، الآية 18.

[4] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 204.

[5] سورة النساء، الآية 171.

[6] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 178.

[7] سورة التوبة، الآية 104.

[8] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 290.

[9] سورة النساء، الآية 85.

[10] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 169.

والمثال الثاني تفسير لفظ "بلوى" في قوله تعالى: "لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا"[1]، فذهب الجبائي إلى أن معنى "لتبلون" لتختبرن، "وتلحقكم الشدائد في أنفسكم، وأموالكم من قبل الكفار نحو ما نالهم من الشدائد في أنفسهم يوم أُحُد، ونحو ما كان الله يفعل بهم من الفقر وشدة العسر، وإنما فعله ليصبروا وسماه بلوى مجازا؛ لأن حقيقته لا تجوز عليه تعالى، كونه عالمًا بالأشياء قبل كونها."[2]

والمثال الثالث تأويل إرسال الشياطين على الكفار في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا"[3]، فعدّها الجبائي مجازًا حتى لا يفهم من إطلاقه على المعنى الحقيقي أن ضلال الكفار من قبله تعالى، لأجل ذلك حمله الجبائي على أنه تعالى خلى بين الكفار وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعوهم إلى الضلالة، وما منعهم من إغوائهم ، وهذه التخلية تسمى إرسالاً توسعا في اللغة، كما إذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه يقال: أرسل كلبه عليه.[4]

ثانيا: التشبيه

يُرى في تفسير الجبائي أنه يشرح طرفي التشبيه، ووجه الشبه لتوضيح المبهم من الآية، فعلى سبيل المثال، ذكر في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[5] أن وجه الشبه في حكم الصوم هو فرضه، حيث شبّه في الآية فرض صوم المسلمين بفرض صوم الأمم السابقة، فليس التشبيه في عدد الصوم المفروض أو وقته.[6]

وأيضا بيّن طرفي التشبيه في قوله تعالى: "إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَو نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ

---

[1] سورة آل عمران، 186.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 148.

[3] سورة مريم، الآية 83.

[4] أنظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 373.

[5] سورة البقرة، الآية 183.

[6] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 97.

يَتَفَكَّرُونَ"[1]، وقال: إن المشبه الحياة الدنيا، والمشبه به النبات؛ لأن الإنسان اغتر بالحياة الدنيا مثل ما وصف الله في الاغترار بالنبات، ويصير إلى الزوال كالنبات الذي يصير إلى مثل ذلك.[2]

كما شرح سبب التشبيه في بعض الآيات مثل قوله تعالى: "فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث"[3]، و ذكر "إنما شبهه بالكلب؛ لأنه لما كفر بعد الإيمان أصبح واحداً من الناس الذي يعادي المؤمنين ويؤذيهم"،[4] "كما أن الكلب يؤذي الناس طردته أو لم تطرده فإنه لا يسلم من أذاه"[5].

ومن الجدير بالذكر أن الجبائي حمل الآية نفسها على الحقيقة وعلى التشبيه، ويظهر ذلك عندما يفسر قوله تعالى: "وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"[6] على هذين الحالين، وذكر أن أهل السنة احتجوا بهذه الآية على أن الهدى والضلال ليس إلا من الله تعالى، وأجاب الجبائي ذلك على وجهين: أولا: فسر الآية على معناها الحقيقي، "وأنه تعالى يجعل الكفار صماً وبكماً يوم القيامة عند الحشر، ويكونون كذلك في الحقيقة بأن يجعلهم في الآخرة صماً وبكماً في الظلمات، ويضلهم بذلك عن الجنة وعن طريقها ويصيرهم إلى النار"[7]. وثانيا: عدّ الجبائي الآية من التشبيه وقال من المحتمل "أنهم كذلك في الدنيا، فيكون توسعاً من حيث جعلوا بتكذيبهم بآيات الله تعالى في الظلمات لا يهتدون إلى منافع الدين، كالصم والبكم الذين لا يهتدون إلى منافع الدنيا، فشبههم من هذا الوجه بهم، وأجرى عليهم مثل صفاتهم على سبيل التشبيه".[8]

---

[1] سورة يونس، الآية 24.

[2] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 294-295.

[3] سورة الأعراف، 176.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 260-261.

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 260-261.

[6] سورة الأنعام، الآية 39.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 12، ص 182.

[8] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 12، ص 182.

المبحث الرابع: منهجه في الفقه

لا توجد في تفسير الجبائي أقوال كثيرة في الأحكام الفقهية، ولعل سبب ذلك يكون لعدم شهرته في علم الفقه وأصوله.

ويتضح لنا من خلال استقراء أقواله في تفسير الآيات المتعلقة بالفقه أنه عندما يبيّن الأحكام الفقهية فيها فإنه كان يعتمد على أقوال الصحابة والتابعين، واللغة، والمذاهب الأربعة، وأحيانًا يقتصر على ذكر الرأي الراجح، فعلى سبيل المثال، بيّن أن "تزويج الحر من الأمة جائز"[1] في قوله تعالى: "وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ"[2].

والمثال الآخر كما في قوله تعالى: "فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ"[3]، واختلف العلماء في معنى الشطر على قولين: أولهما أنه "بمعنى الجهة، والنحو، وهو قول جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين والمتأخرين، واختيار الشافعي رضي الله عنهم بأن المراد جهة المسجد الحرام وتلقاءه، وجانبه، واستشهد الشافعي في كتاب الرسالة في هذا بأربعة أبيات"[4]. و ثانيهما أنه "النصف من الشيء والجزء منه، يقال: شطرت الشيء، أي: جعلته نصفين، ويقال في المَثَل: اجلب جلباً لك شطره، أي: نصفه". و اختار الجبائي هذا الوجه، و قال "إن المراد من الشطر وسط المسجد ومنتصفه؛ لأن الشطر هو النصف، والكعبة واقعة في نصف المسجد من جميع الجوانب".[5]

ونرى في تفسيره أنه بحث في مسائل أصول الفقه، مثلًا استدل الجبائي على الإجماع كدليل من أدلة التشريع بقوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"[6]، فذكر أن معنى الوسط عدل، "فإذا عدلهم الله تعالى، لا يجوز أن تكون شهادتهم مردودة".[7]

ويمكن أن نحدد مصادره في استنباط الأحكام الفقهية في تفسير الآيات كما يأتي:

---

[1] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 155.

[2] سورة النساء، الآية 25.

[3] سورة البقرة، الآية 144.

[4] ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، جـ 3 – ص 35-36.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 4 – ص 102-103.

[6] سورة البقرة، الآية 143.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 84.

- **اعتماده على أقوال الصحابة والتابعين**

اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة، فقال الشافعي وأصحابه بأنه فرض في الحج وفي العمرة، وقال أبو حنيفة وأصحابه إنه تطوع، واختار الجبائي قول أبي حنيفة بناء على سببين، أولهما دلالة ظاهر الآية "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَو اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا"[1] على الإباحة، وثانيهما رواية عن ابن عباس وأنس بن مالك.[2]

وبيّن الجبائي صفة التيمم على ما يروى عن ابن عمر، والحسن في قوله تعالى "فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ"[3]، وقال "إنها ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين".[4]

واختار الجبائي قول ابن عباس وقتادة، والسدي، والضحاك في دلالة لفظ "وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" من قوله تعالى "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ"[5] أنه "إطعام أهل الكتاب من ذبائحهم، وغيرها من الأطعمة".[6]

وأيضا اختار قول عبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس، وعطاء، والزهري، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وابراهيم رضي الله عنهم في وقت الاستماع في قوله تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[7]، وأنه عندما يأتي أحد المصلين في الصلاة خلف الامام، فيجب عليه أن ينصت ولا يقرأ ويستمع القراءة؛ لأن الناس "كانوا يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض، وإذا دخل داخل وهم في الصلاة قال لهم: كم صليتم؟ فيخبرونه"[8] قبل هذه الآية.[9]

---

[1] سورة البقرة، الآية 158.

[2] انظر:الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 88.

[3] سورة النساء، الآية 43.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 158.

[5] سورة المائدة، الآية 5.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 181.

[7] سورة الاعراف، الآية 204.

[8] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 265. والأثر رواه بألفاظ مختلفة: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن المسيب بن رافع قال: كان عبد الله يقول: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة: "سلام على فلان، وسلام على فلان". قال: فجاء القرآن: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا). ذكره ابن كثير في تفسيره (541/3)، و أيضا رواه بألفاظ مختلفة: حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن رجل، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال: في الصلاة. أخرجه البيهقي في القراءة خلف الإمام (279) من طريق ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن قتادة." (الطبري، الجامع البيان)

[9] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 265.

وأيضا ذكر عدم جواز الأكل من الذبيحة التي لم يُذكر اسم الله عليها في قوله تعالى "وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ"[1] على ما روي عن ابن سيرين.[2]

- **اعتماده على اللغة في الاستنباط**

أجاب الجبائي عن سؤال "كيف قدم الوصية على الدّيْن في الآية الكريمة "فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ"[3] مع أن الدين يتقدم عليها بلا خلاف"، وذكر "أن أو لا توجب الترتيب، وإنما هي لأحد شيئين"[4].

- **اختياره من المذاهب الفقهية الأربعة**

إن الجبائي لم يلتزم بالمذهب الواحد في تفسير الآيات الأحكام، بل اختار من المذاهب المختلفة، فمنها الشافعية، والحنفية، والمالكية.

ومن الأمثلة على اختياره قول الشافعي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ "[5]، أن السهم من الزكاة للمؤلفة قلوبهم ثابت في كل زمان على قول الشافعي[6]، كما اختار قول أبي يوسف، ومحمد رحمهما الله في الآية نفسها أن الفقراء والمساكين شيء واحد، لا فرق بينهما، "وقال الجبائي وأن الله تعالى ذكرهم باسمين لتوكيد أمرهم في الصدقات؛ لأنهم هم الأصول في الأصناف الثمانية".[7]

وأيضا اختار الجبائي قول الشافعي في حكم قصر الصلاة في السفر في تفسير قوله تعالى: "وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ"[8] أنه رخصة.[9]

---

[1] سورة الأنعام، الآية 121.

[2] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 226.

[3] سورة النساء، الآية 11.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 152.

[5] سورة التوبة، الآية 60.

[6] انظر إلى الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 285.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 16 – ص 85-86.

[8] سورة النساء، الآية 101.

[9] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 171.

ومن الأمثلة على اختيار الجبائي قول أبي حنيفة بيان مدة الحيض أن أقلها ثلاثة أيام ولياليهن، وأكثرها عشرة أيام من خلال تفسير قوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هو أَذًى"[1]، حيث نقل الرازي من تفسير الجبائي حجته فيه ويذكر "أن فرض الصوم والصلاة لازم يتعين للعمومات الدالة على وجوبها ترك العمل بها في الثلاثة إلى العشرة، فوجب بقاؤها على الأصل فيما دون الثلاثة وفوق العشرة وذلك لأن فيما دون الثلاثة حصل اختلاف للعلماء فأورث شبهة فلم نجعله حيضا وما زاد على العشرة ففيه أيضا اختلاف العلماء فأورث شبهة فلم نجعله حيضا، فأما من الثلاثة إلى العشرة فهو متفق عليه فجعلناه حيضا."[2]

وأيضا قال في تفسير قوله تعالى: "وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوأَعْجَبَتْكُمْ"[3]: "إن الآية دالة على أن القادر على طَوْل الحرة يجوز له التزوج بالأَمَة على مذهب أبي حنيفة، وذلك لأن الآية دلت على أن الواجد لطول الحرة المشركة يجوز له التزوج بالأَمَة، لكن الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة؛ لأن سبب التفاوت في الكفر والإيمان لا يتفاوت بقدر المال المحتاج إليه في أهبة النكاح، فيلزم قطعا أن يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الأَمَة."[4]

ومن الأمثلة على اختيار الجبائي قول الإمام مالك عندما فسر قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ"[5]، حيث بيَّن اختلاف العلماء في أنواع الاستثناء الوارد في قوله تعالى: "إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ" على ثلاثة أوجه؛ أولها: "أنه استثناء من جميع ما تقدم"، ثانيها: أن هذا الاستثناء مختص بما قبله فقط، ثالثها: "أنه استثناء منقطع، كأنه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال"،[6] ذهب إليه الإمام مالك وجماعة من أهل المدينة.[7]

---

[1] سورة البقرة، الآية 222.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 6 – ص 58.

[3] سورة البقرة، الآية 221.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 6 - ص 52.

[5] سورة المائدة، الآية 3.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 11، ص 106.

[7] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 180.

الفصل الثاني: الاتجاه الكلامي الاعتزالي في تفسير الجبائي

من المفيد أن أشير إلى المراد من معنى الاتجاه في التفسير وهو "تأثير الاعتقادات الدينية، والكلامية، والاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير، والتي تتكون على أساس عقائد واحتجات وذوق وتخصص المفسر".[1]

ومن الاختلافات بين المنهج والاتجاه؛ أن بحث المناهج "يعتمد على أساس كيفية كشف المعنى ومقصود الآية، ويتشكل من أساس المصادر والأدوات التفسيرية، مثل الاستخدام النقل والعقل. أما الاتجاه، فأكثر ما يطرح في بحثه هو شخص المفسر، أي اعتقادات وأذواق شخص المفسر والتي تعطي التفسير وجهة محددة، وأيضا تُطرح في بحث الاتجاهات مسألة متن التفسير، وما هي أكثر المطالب التي يتضمنها من مسائل كلامية، أو فقهية، أو أدبية".[2]

وإن من خصائص الاتجاه الكلامي هي اهتمام المفسر بتفسير آيات العقائد مثل التوحيد، والنبوة، والعدل، والمعاد، وغيرها واهتمامه بتأويل الآيات المتشابهة، وإثبات عقائده، ونفي عقائد خصومه عن طريق تفسير الآيات، ودفاعه عن عقائد المسلمين.[3] وقد تكوّنت الاتجاهات الكلامية بسبب ظهور المباحث الكلامية والفلسفية، فكانت كل فرقة من فرق المسلمين كلأشعرية، والماتريدية، والمعتزلة، و غيرها قد فسرت القرآن الكريم حسب آرائها العقدية.[4]

يمكن أن نقسم الاتجاه الكلامي إلى أربعة أقسام: الاتجاه الكلامي الاعتزالي، والاتجاه الكلامي الأشعري، والاتجاه الكلامي الماتريدي، والاتجاه الكلامي الشيعي. ومن أهم التفاسير الكلامية للمعتزلة بين أيدنا هي متاشابه القرآن، وتنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، والكشاف للزمخشري. ومن أهم التفاسير الكلامية للأشاعرة هي مفاتيح الغيب للرازي، وأنوار التنزيل للبيضاوي. ومن أهم التفاسير المدونة للماتريدية هي تأويلات القرآن لأبي منصور الماتريدي، ومدارك التنزيل للنسفي. ومن أهم التفاسير الكلامية للشيعة هي تفسير التبيان للطوسي، وتفسير مجمع البيان للطبرسي، وحدائق ذات بهجة للقزويني.

---

[1] الإصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

[3] انظر إلى المصدر نفسه ص 270.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص 20.

بدون شك أن من أهم خصائص تفسير الجبائي إهتمامه بمذهبه العقدي في تفسيره، وتظهر هذه الأهمية من خلال محاولة إثباته أصول المعتزلة من جهة، وردّه على خصومه من جهة أخرى، كما عندما يفسر الآيات التي تتعلق بأحد موضوعات علم الكلام، لا يوجز، بل يسهب فيه حتى فروع المسائل.

المبحث الأول: موقف الجبائي من مذهبه الاعتزالي

المطلب الأول: تأثير أصول المعتزلة الخمسة في تفسير الجبائي

ركزت المعتزلة على الأصول الخمسة بعد تطور المذهب، واشتهرت بها، حتى أصبحت هذه الأصول أساساً لمن أراد أن يكون معتزلياً، كما قال الخياط: "لسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقونا في التوحيد، ويقولون بالجبر، وبشر كثير يوافقونا في التوحيد والعدل، ويخالفونا في الوعد والأسماء والأحكام، لكن ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس، فهو معتزلي"[1]

الفرع الأول: التوحيد

يعد التوحيد هو الأصل الأول عند المعتزلة، وأساس مذهبهم. ويعرف القاضي عبد الجبار التوحيد لغةً واصطلاحًا بقوله "والأصل فيه أن التوحيد في أصل اللغة عبارة عما يصير به الشيء واحدا، كما أن التحريك عبارة عما به يصير الشيء متحركا، والتسويد، عبارة عما به يصير الشيء أسودا، ثم يستعمل في الخير عن كون الشيء واحدا لما لم يكن الخبر صادقا إلا وهو واحدا، فصار ذلك كالإثبات فإنه في أصل اللغة عبارة عن الإيجاب"[2].

وأما التوحيد في الاصطلاح "فهو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيا وإثباتا على الحد الذي يستحقه، والإقرار به. ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعا، لأنه لوعلم ولم يقر أوأقر ولم يعلم لم يكن موحدا".[3]

وذهبت المعتزلة إلى تنزيه الله تعالى مطلقًا، فنفوا عنه كل ما من شأنه، أنه يؤدي إلى التجسيم، والتشبيه، فقد "انبروا يحاربون كل مذهب، وينفدون كل قول يرون بعقولهم أنه يتعارض مع مبدأ الوحدانية، فيجعل لله شريكا في الأزلية، ويشبه الله بخلقه به. وبعبارة أخرى إنهم نفوا عن الله تعالى جميع صفات المحدثات"[4].

---

[1] الخياط، أبو الحسين عبد الحليم بن محمد بن عثمان، الإنتصار والرد على ابن الروندي الملحد، دار الكتب المصرية، 1925، ص 126.

[2] القاضي عبد الجبار، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، ط.3، القاهرة، 1996، ص 128.

[3] المصدر نفسه، ص 128.

[4] زهدي جار الله، المعتزلة، المكتبة الأزهرية التراث، القاهرة، ص61.

قد يرى بالسهولة اهتمام الجبائي بالتوحيد في تفسير لفظ "إِلهٌ واحدٌ" في قوله تعالى "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هو الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ"[1]، ووصف الله تعالى بأنه واحد على وجوه أربعة: "لأنه ليس بذي الأبعاض ولا بذي الأجزاء، ولأنه منفرد بالقدم، ولأنه منفرد بالإلهية، ولأنه منفرد بصفات ذاته نحو كونه عالما بنفسه، وقادرا بنفسه."[2] فهو يؤمن بوحدانيّة الله تعالى، وأنّه قديم ، وواحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

ويمكن أن نرى هذا التنزيه في تفسير الجبائي تحت المواضع المختلفة تتعلق بأصول التوحيد كما يأتي:

- **صفات الله تعالى**

كانت المعتزلة تنفي صفات الله تعالى لاعتقادها أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء بقولهم: "إن من أثبت لله معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهيْن"[3]، وتعددت آراء علماء المعتزلة في تأويل صفات الله تعالى.[4]

أما الجبائي نرى أنه أيضا أوّل صفات الله تعالى في تفسيره، فمن الأمثلة على تأويله بيان قوله تعالى "إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ"[5]، واعتبر بوصف الله تعالى شكورًا مجازًا، وبيّن أن المقصود منه مجازاة الله على الطاعات.[6] وأيضا أوّل صفة الله تعالى في قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[7] بأن "معناه واسع الرحمة".[8]

وأيضا أوّل وصف الله تعالى أشد منهم قوة في قوله تعالى: "هو أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً"[9]، وعدّها مجازًا، وقال: إن تقدير الآية "أقدر منهم، ووصف الله تعالى بأنه شديد العقاب وما أشبه ذلك من صفات الأفعال

---

[1] سورة البقرة، الآية 163.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 90.

[3] الشهرستاني، الملل والنحل، جـ. 1 – ص 40.

[4] انظر: عواد بن عبدالله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط. 2، الرياض، 1995، ص 85-95.

[5] سورة فاطر، الآية 30.

[6] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 425.

[7] سورة البقرة، الآية 115.

[8] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 80.

[9] سورة فصلت، الآية 15.

لا يجوز؛ لأن الشديد من صفات الأفعال، ولو لم يكن وصف الله تعالى بأشد القوة مجازًا لكانت قوته شديدة في الحقيقة وقوته في الحقيقة لا توصف بالشدة".[1]

- **خلق القرآن**

اتفقت المعتزلة على أن كلام الله محدث وأن القرآن مخلوق[2]، "ووجدوا في القول بأن القرآن غير مخلوق ما يتعارض مع وحدانيته تعالى، لأنَّ الشيء إذا كان غير مخلوق أصبح قديماً أزلياً، والقدم والأزلية من صفات الله وحده"[3]. وبالغوا في قولهم خلق القرآن حتى جعلوه عديل التوحيد، واتهموا من خالفهم بالإلحاد والكفر.[4]

والجبائي أوّل كثيراً من الآيات وفق هذا الرأي، فمن الأمثلة على ذلك استدلاله بقوله تعالى: "وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً"[5] على أن كلام الله محدث، فقال: إن قوله تعالى "يقتضي أن أمره مفعول، والمخلوق، والمصنوع، والمفعول واحد، فدل هذا على أن أمر الله مخلوق مصنوع"[6]، ولكن أن هذا الاستدلال بعيد عن محتوى الآية، وأيضا أن الزمخشري لم يذكر هذا الاستدلال في تفسيره، وأنه اكتفى بتفسير الآية ويذكر أن المقصود منها "فلا بدّ أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا"[7].

والمثال الآخر تأويل قوله تعالى "فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ"[8]، وقال في تفسير هذه الآية: "إن القرآن ليس قديماً؛ لأن الحديث ضد القديم، وأيضاً فلفظ الحديث يفيد من جهة العادة حدوثه عن قرب، ولذلك يقال إن هذا الشيء حديث، وليس بعتيق، فيجعلون الحديث ضد العتيق الذي طال زمان وجوده، ويقال في الكلام إنه حديث؛ لأنه يحدث حالاً بعد حال على الأسماع"[9]، ولكنّ هذه الأقوال ليست من فبيل

---

[1] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 442-443.

[2] انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، جـ. 1 – ص 38.

[3] زهدي جار الله، المعتزلة، ص 78.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص 79.

[5] سورة النساء، الآية 47.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 10 – ص 99.

[7] الزمخشري، الكشاف، جـ.1-ص.519.

[8] سورة الأعراف، الآية 185.

[9] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 15 - ص 64.

الاستدلال، لأن لا نزاع بين المعتزلة والأشاعرة في حدوث الكلمات، والألفاظ، والأشاعرة أيضا يقول إن ألفاظ القرآن محدثة، والقرآن بذاته قديم فقط عندهم.[1]

وأيضا استدل بقوله تعالى "أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وهو أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ"[2] على حدوث كلام الله تعالى، وقال "لو كان كلامه قديماً لوجب أن يكون متكلماً بالمحاسبة الآن وقبل خلقه، وذلك محال؛ لأن المحاسبة تقتضي حكاية عمل تقدم".[3]

الفرع الثاني: العدل

أشتهرت المعتزلة بلقب ثانٍ لها و هو أهل العدل والتوحيد؛[4] لأن أصل العدل وأصل التوحيد عند المعتزلة أهم أصلين من الأصول الخمسة. ويشُرح أساس العدل عندهم بأنه "مصدر عَدَلَ يَعْدلُ عَدْلاً، ثم قد يذكر ويراد به الفعل، وقد يذكر ويراد به الفاعل، فإذا وصف به الفعل، فالمراد به كلّ فعل حسن يفعله الفاعل لينفع به غيره أو ليضره. فأمّا إذا وصف به الفاعل، فعلى طريق المبالغة كقولهم للصائم: صوم، ونحن إذا وصفنا القديم تعالى بأنه عدل حكيم، فالمراد به أنّه لا يفعل القبيح، أولا يختاره، ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة".[5] فيراد بالعدل الإلهي عند المعتزلة أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، و أنه لا يفعل القبيح.

و كان الجبائي يسهب في تفسير الآية إذا كانت تتعلق بأصول العدل، فعلى سبيل المثال عندما شرح الجبائي قوله تعالى "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ"[6] ركّز على لعنة الله تعالى على بني إسرائيل، فشرح الجبائي معنى اللعنة أولًا بأنها إبعاد من رحمة الله تعالى، وأضاف إلى ذلك أن اللعنة على من لا يستحق العقوبة من الأطفال، والمجانين، والبهائم غير جائزة؛ لأن الله تعالى لا يبعد من رحمته من لا يستحق الإبعاد عنها، بمعنى الآخر لأن الله تعالى لا يفعل أي عمل غير عادل.[7]

---

[1] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 15 - ص 64.

[2] سورة الأنعام، الآية 62.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 13 – ص 16.

[4] انظر: إبراهيم يوسف، هانم، أصل العدل عند المعتزلة، دار الفكر العربي، ط. 1، القاهرة، 1993، ص 27.

[5] القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 301.

[6] سورة المائدة، الآية 78.

[7] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 196.

وأيضا أكّد الجبائي العدل الإلهيّ وفق مذهبه الاعتزاليّ من خلال تفسيره، فعلى سبيل المثال بيَّن في قوله تعالى: "وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"[1] أولًا معنى "بغير حساب" بأنها رزق الله تعالى عباده فوق استحقاقهم؛ لأن النعيم منه بحساب وبغير حساب، ولم يكتف بهذا الشرح، وقال إن العقاب في القيامة جميعه بحساب.[2]

وأوّل الجبائي بعض الآيات القرآنية في إطار أصل العدل، يمكن تصنيفها تحت العناوين التالية:

- **خلق أفعال العباد**

ذهبت المعتزلة إلى أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها[3]، و"أن العباد خالقون أفعالهم مخترعون لها، وأن الله تعالى ليس له في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير، لا بإيجاد ولا بنفي"[4] بقولهم: إن "أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة عن جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال بأن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه."[5]

وفسّر الجبائي كثيرًا من الآيات حسب هذا الرأي، وأحد أبرز الأمثلة على ذلك بيان قوله تعالى "تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ "[6]، حتى إنّه يمكن القول بأن هذه الآية الواحدة وافية بتقرير جميع أصول المعتزلة في مسائل العدل. قال الجبائي بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى غير فاعل للظلم، وغير فاعل لأعمال العباد، وغير مريد للقبائح من أفعال العباد، وبيّن ذلك بشرح لفظ الظلم والاستدلال اللغوي عليها، فشرح أقسام الظلم بقوله: إنها ثلاثة: إما أن يفرض صدوره من الله تعالى، وإما أن يفرض صدوره من العبد بتقدير الله، وإما أن يظلم نفسه وذلك بسبب إقدامه على المعاصي أو يظلم غيره. وذكر أن لفظ الظلم جاء في الآية نكرةً في سياق النَّفي، ومعنى ذلك أن الله لا يريد شيئاً مما يكون ظلماً، سواء كان ذلك صادراً عنه أو صادراً عن عبده، واستدل من دلالة هذه الآية – أنه تعالى لا يريد شيئاً من هذه الأقسام الثلاثة- على وجوب أن لا يكون فاعلاً لشيء من هذه الأقسام،

---

[1] سورة آل عمران، الآية 27.

[2] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 126.

[3] انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 303.

[4] زهدي جارالله، المعتزلة، ص.92.

[5] القاضي عبد الجبار، المغني، جـ. 6 – ص 41.

[6] سورة آل عمران، الآية 108.

ومعنى ذلك أن يلزم منه أن لا يكون فاعلاً للظلم أصلاً ويلزم أن لا يكون فاعلاً لأعمال العباد؛ لأن توجد في أعمالهم ظلمهم لأنفسهم وظلم بعضهم بعضاً.[1]

والمثال الثاني تفسيره قوله تعالى "فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ"[2]، وقال الجبائي: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بريئاً من معاصيهم، وذلك يوجب أن الله تعالى أيضاً بريء من عملهم كالرسول وإلا كان مخالفاً لله، كما لو رضي عمن سخط الله عليه لكان كذلك، وإذا كان تعالى بريئاً من عملهم فكيف يكون فاعلاً له ومريداً له؟"[3]، ولكن فسر الجبائي الآية ابتعادًا عن محتواها، كما قال الرازي إن معنى إن الله تعالى بريء من المعاصي أنه ما أمر بها بل نهى عنها.[4]

والمثال الثالث تأويله إضافة سير العباد في البر إلى الله تعالى في تفسير قوله تعالى "هو الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ"[5]، وقال: كون الله تعالى مسيراً لهم في البحر على الحقيقة، وأما سيرهم في البر فإنما أضيف إلى الله تعالى مجازًا، "فما كان منه طاعة فبأمره وتسهيله، وما كان منه معصية فلأنه تعالى هو الذي أقدره عليه"[6]، ولكن أصبح اللفظ الواحد حقيقةً ومجازًا دفعةً واحدةً، و هذا الوجه باطل.[7]

ونرى في تفسير الجبائي أنه اهتم بهذا الأصل اهتمامًا عظيمًا عندمًا فسر الآيات المتعلقة بعدالة الله تعالى، نحو تحليل التناقضات التي يمكن تصورها في الآية، على سبيل المثال، يُذكر في تفسير قوله تعالى "مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ"[8] أن الحسنة من عند الله، والسيئة من العبد، لكن كما نعلم أن كليهما صادران من العبد عند المعتزلة، وشرح الجبائي هذا التناقض بتأويله هذا: "أن الحسنة وإن كان من فعل العبد فإنما وصل إلينا بتسهيله تعالى ولطفه فصحت الإضافة إليه."[9]

وبناء على رأيه في خلق أفعال العباد، أوّل الجبائي الآيات التي يمكن أن يفهم منها الجبر، مثل قوله تعالى "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"[10]، ففهم الآية على ظاهرها مشكلة عند

---

[1] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 8، ص 152-153.

[2] سورة الشعراء، 216.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 24 – ص 148.

[4] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 24 – ص 148.

[5] سورة يونس، الآية 22.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 17 – ص 55-56.

[7] أنظر الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 17 – ص 55.

[8] سورة النساء، الآية 79.

[9] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 10، ص 152.

[10] سورة البقرة، الآية 15.

المعتزلة؛ لأنهم يعتقدون عدم نسبة القبيح إلى الله تعالى مطلقًا، وبسبب ذلك أوّلت المعتزلة الآية من أربعة وجوه؛ وأحدها تأويل الجبائي، بأن المراد بـ"يَمُدُّهُمْ" مد عمر الكفار "ثم إنهم مع هذا مد العمر في طغيانهم يعمهون"، ولكن بين الرازي أن هذا التأويل غير مقبول من وجهين؛ أولا، لا يوجد في اللغة استعمال "أَمَدُّ" بمعنى المد في العمر، وثانيا، لو أن هذا التأويل صحيح، فإنّه سيؤدي إلى الإشكال أيضا عند المعتزلة؛ لأنه تعالى يمد عمر الكفار لغرض أن يكونوا في طغيانهم يعمهون على هذا التأويل.[1]

ونرى في تفسير بعض الآيات أن الأشاعرة والجبائي استدلوا بالآية نفسها على أرائهم المختلفة، على سبيل المثال إن الأشاعرة احتجوا على قولهم بأن فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله تعالى "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ"[2]، وإن المراد من هذا التعذيب القتل والأسر، وظاهر النص يدل على أن ذلك القتل والأسر فعل الله تعالى، وأجاب الجبائي عنه، فقال "لوجاز أن يقال إنه تعالى يعذب الكفار بأيدي المؤمنين لجاز أن يقال إنه يعذب المؤمنين بأيدي الكافرين، ولجاز أن يقال إنه يكذب أنبياءه على ألسنة الكفار ويلعن المؤمنين على ألسنتهم؛ لأنه تعالى خالق لذلك، إن الله تعالى لم يخلق أعمال العباد، وإنما نسب ما ذكرناه إلى نفسه على سبيل التوسع من حيث إنه حصل بأمره وألطافه".[3]

وأيضا قال الأشاعرة في قوله تعالى "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا..."[4] "إن الله تعالى خالق كل ما بين السموات والأرض، وإن أعمال العباد حاصلة بين السماء والأرض، فوجب أن يكون الله تعالى خالقاً لها"[5]، مقابل على الأشاعرة، إن الجبائي احتج بهذه الآية على عدم جواز كون الله تعالى خالقاً لأعمال العباد، فقال "إن أعمال العباد مشتملة على الكفر والفسق، وكلها أباطيل، ودل هذا على أنه تعالى لم يخلق أعمال العباد".[6]

---

[1] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 2، ص 65.

[2] سورة التوبة، الآية 14.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 16، ص 3-4.

[4] سورة ص، الآية 27.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 26 –ص 175.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 26 - ص 175.

- **نفي صدور القبح عن الله تعالى:**

أجمع المعتزلة على أن الله تعالى منزه أن يضاف إليه شر، وأنه حكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير، ونفوا صدور القبح مطلقا عن الله تعالى؛ "لأنه تعالى لو خلق الظلم أصبح ظالمًا، كما لوخلق العدال أصبح عادلًا".[1]

وأوّل الجبائي كثيرًا من الآيات على هذا الأساس، فقد اختلف أهل السنة والمعتزلة في التزيين الذين الوارد في قوله تعالى "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ"[2]، فقالت الأشعرية: إنه الله تعالى؛ لأن خالق جميع الأفعال هو الله تعالى، وأما المعتزلة فأوّلت الآية الكريمة؛ لأنهم لم تقبلوا صدور القبح عن الله تعالى، وقسم الجبائي حب متاع الدنيا إلى ثلاثة أقسام: واجب، وحرام، ومباح، وقال: "إن كل ما كان واجباً أو مندوباً كان التزيين فيه من الله تعالى، وكل ما كان حراماً كان التزيين فيه من الشيطان، وكل ما كان مباحا التزيين فيه من الله تعالى، أو من الشيطان".[3]

وأيضا أوّل الجبائي إضافة الصرف إلى الله تعالى في قوله تعالى: "ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ"[4]، فذكر "أن الرماة كانوا فريقين "بعضهم فارقوا المكان أولًا لطلب الغنائم، وبعضهم بقوا مكانهم، ثم أحاط العدوبالذين بقوا، فلواستمروا على المكث لقتلهم العدومن غير فائدة، فلذلك جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك الموضع إلى موضع يتحرزون فيه عن العدو، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الجبل مع أصحابه الكرام، وتحصنوا به ولم يكونوا عصاة بذلك، فلما كان ذلك الانصراف جائزًا أضافه الله تعالى إلى نفسه بمعنى أنه كان بأمره، وإذنه، وأيضا إن المراد من الابتلاء في قوله تعالى أنه تعالى لما صرفهم إلى ذلك المكان، وتحصنوا به أمرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين، ولا شك أن الإقدام على الجهاد بعد الانهزام، وبعد أن شاهدوا في تلك المعركة قتل أقربائهم، وأحبائهم هو من أعظم أنواع الابتلاء".[5]

ومثال آخر، حمل الجبائي معنى الجعل على التبيين في بيان قوله تعالى: "كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ"[6]؛ فذهب إلى تأويله، لأن ظاهر الآية يدل على أن هذه العداوة من جعل الله تعالى، وأوَّلَه بأن الله تعالى لما بيَّن أنهم أعداؤه، "جاز أن يقول: جعلناهم أعداءه، كما إذا بيَّن الرجل أن فلاناً

---

[1] انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ص 39.

[2] سورة آل عمران، الآية 14.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 7 - ص 168-169.

[4] سورة آل عمران، الآية 152.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 9 – ص 31-32.

[6] سورة الفرقان، الآية 31.

لص يقال: جعله لصاً، كما يقال في الحاكم: عدل فلاناً وفسق فلاناً وجرحه"،[1] لكن يعدّ هذا التأويل ضعيفا؛ لأن التبيين لا يسمّى جعلًا، فمن "بيّن لغيره وجود الصانع وقدمه لا يقال إنه جعل الصانع وجعل قدمه."[2]

وأيضا حمل الختم والغشاوة على علامة الكفار في تفسير قوله تعالى: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[3]؛ لأن المعتزلة ترى أن فهم الآية بالمنع من الإيمان غير جائز، فحملوا الختم والغشاوة على عشرة أوجه؛ وكان أحدها اختيار الجبائي من تأويل الحسن البصري، وأن المراد بذلك "علامة وسمة يجعلها في قلب الكفار وسمعهم فتستدل الملائكة بذلك على أنهم كفار"[4]، فيبغضونهم ويلعنوهم، والفائدة من تلك العلامة مصلحة عائدة إلى الملائكة؛ "لأنهم متى علموا بتلك العلامة كونه كافراً ملعوناً عند الله تعالى صار ذلك منفراً لهم عن الكفر"[5]، كما أخبر الله تعالى في قوله: "أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ"[6] علامة المؤمنين تعرف بها الملائكة وحينئذ يحبونه ويستغفرون له.[7]

- **الهداية والضلال**

إن الهداية والضلال على مذهب أهل السنة بيد الله تعالى،[8] وفي المقابل فإن المعتزلة لم تسند الضلال إلى الله تعالى، وأوّلت كثيراً من الآيات التي استدل بها أهل السنة على أرائهم، فعلى سبيل المثال إن الرازي احتج بقوله تعالى: "وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"[9] على رأيه أن الكفر والإيمان بقضاء الله وقدره، أما الجبائي فحمل تقلب الأفئدة والأبصار إلى تحويلهما إلى لهب النار وجمرها لتعذبهم كما لم يؤمنوا به أول مرة في دار الدنيا.[10] ولكن يجب أن نقول إن هذا التأويل تكلف، وبعيد عن محتوى الآية؛ لأن الله تعالى قال أولًا "وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ" ثم

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 24 - ص 67.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 24 – ص 67.

[3] سورة البقرة، الآية 7.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 2، ص 47.

[5] المصدر نفسه، جـ 2، ص 47.

[6] سورة المجادلة، الآية 22.

[7] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 2، ص 45-47.

[8] انظر: مفاتيح الغيب، جـ 13 – ص 120.

[9] سورة الأنعام، الآية 110.

[10] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.13-ص120.

عطف عليه "وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"، ولا شك أن قوله "وَنَذَرُهُمْ" إنما يحصل في الدنيا، فلو قلنا المراد من قوله "وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ" يحصل في الآخرة، كان هذا سوأ للنظم في كلام الله تعالى حيث قدم المؤخر وأخر المقدم من غير فائدة، وأيضا ورد في الأحاديث الشريفة أن الله تعالى يقلب القلوب مثل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".[1]

والمثال الثاني، ذكر الرازي أن ظاهر قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً"[2] يدل على أن خالق الخير والشر، والإيمان والكفر الله تعالى، وحمل الجبائي الجعل المذكور في الآية إلى الحكم والبيان، وبيَّن أنَّه "إذا حكم بكفر إنسان قيل: إنه كفره، وإذا أخبر عن عدالته قيل: إنه عدله، فهكذا في الآية لما بيِّن للرسول عليه الصلاة والسلام كونهم أعداء له لا بد أن يقال إن الله تعالى جعلهم أعداء له".[3]

والمثال الثالث، أن الرازي ذهب في تفسير قوله تعالى: "وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ"[4] إلى أن الله تعالى يريد الكفر من الكافر؛ لأنه تعالى "قيض لهم أولئك القرناء، وكان عالماً بأنه متى قيض لهم أولئك القرناء فإن يزينوا الباطل لهم، وكل من فعل فعلاً وعلم أن ذلك الفعل يفضي إلى أثر لا محالة، فإن فاعل ذلك الفعل لا بد وأن يكون مريداً لذلك الأثر"[5]، بينما أوّل الجبائي الآية بقوله: "إنه تعالى لم يقل وقيضنا لهم قرناء ليزينوا لهم، وإنما قال "فَزَيَّنُواْ لَهُم"، فهو تعالى قيض القرناء لهم بمعنى أنه تعالى أخرج كل أحد إلى آخر من جنسه، فقيض أحد الزوجين للآخر والغني للفقير والفقير للغني ثم بيّن تعالى أن بعضهم يزين المعاصي للبعض".[6]

- **إرادة الله تعالى الإيمان والطاعة من الكل**

يرى الجبائي أن الله تعالى يريد الإيمان والطاعة من كل البشر، وقد حاول أن يثبت رأيه في تفسير بعض الآيات، فعلى سبيل المثال فسر قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ

---

[1] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.13-ص120، وأخرجه الترمذي في صحيحه برقم 3522: "قُلتُ لأمِّ سلمةَ: يا أمَّ المؤمنينَ ما كانَ أَكْثرُ دعاءِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ إذا كانَ عندَكِ؟ قالَت: كانَ أَكْثرُ دعائِهِ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ قالَت: فقُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ما أكثرُ دعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ؟ قالَ: يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ. فتلا معاذٌ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا".

[2] سورة الأنعام، الآية 112.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.13-ص125.

[4] سورة فصلت، الآية 25.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.27-ص102-103.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ.27-ص102-103.

وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ"[1] أن الله تعالى أرسل الرسل إليهم، وإنما سلّط البأساء والضرّاء عليهم لإرادة أن يتضرعوا، وقال إن هذه الآية تدل على أنه تعالى يريد الإيمان من كل البشر،[2] ولكن لا يمكن حمل قوله تعالى على ذلك الوجه؛ لأن كلمة لعل تفيد الترجي والتمني، فتعليل حكم الله تعالى، ومشيئته محال.[3]

الفرع الثالث: الوعد والوعيد

ذهبت المعتزلة إلى وجوب الوعد والوعيد على الله تعالى، ومعناه أنَّ "الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، و أنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، و لا يجوز عليه الخلف و الكذب." واستدلوا على ذلك، بأن الله تعالى قد توعد بالعقاب على المعاصي، فلو سلمنا بعدم وجوب الوفاء عليه لزم الخلف فيما أخبر الله، "و الخلف في حق الله تعالى كذب، والكذب قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه، و إلى هذا أشار تعالى بقوله "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"[4]، وأيضا لو جاز الخلف في الوعيد لجاز في الوعد؛ لأن الطريق في الموضعين واحدة".[5]

ويمكن ان نرى أن الجبائي فسر الآيات التي تبحث فيها عن وعد الله تعالى ووعيده على الناس حسب اعتقاده، فعلى سبيل المثال، استدل بقوله تعالى: "وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"[6] على أن عذاب أهل المعاصي والكبائر دائم، "ولم يعد موسى عليه السلام ولا سائر الأنبياء بعده على أنه تعالى يخرج أهل الكبائر من النار"[7]؛ لأنه لو وعدهم بذلك لما جاز أن ينكر على اليهود هذا القول، وإذا ثبت أنه تعالى ما وعدهم على ذلك وثبت أنه تعالى دلهم على وعيد العصاة، فقد وجب أن يكون عذابهم دائماً على ما هو قول المعتزلة، وإذا ثبت ذلك في سائر الأمم وجب ثبوته في هذه الأمة؛ لأن حكم الله تعالى في الوعد والوعيد لا يجوز أن يختلف في الأمم، إذ كان قدر المعصية من الجميع لا يختلف.[8]

---

[1] سورة الأنعام، الآية 42.

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 12 - ص 185.

[3] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 12 – ص 186.

[4] سورة ق، الآية 29.

[5] القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 136.

[6] سورة البقرة، الآية 80.

[7] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 76.

[8] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 76.

ومثال آخر تفسير قوله تعالى: "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ"[1]، حيث يرى الجبائي أن المجرم لا يكون ألبتة في الجنة؛ لأن الله تعالى بيَّن في الآية عن عدم التسوية بين المسلم والمجرم، ولو دخل المجرم إلى الجنة لحصلت التسوية بينهما في الثواب[2]، ولكن هذا الاستدلال ضعيف بسبب أن الله تعالى يبحث في الآية عن التسوية بين المسلم و الكافر.[3]

وأيضا استدل بقوله تعالى: "بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"[4] على إثبات الوعيد لأصحاب الكبائر من المسلمين أو غيرهم، وقال: إن لفظ "بلى من كسب" يفيد العموم،[5] ليس منحصرا لليهود، وإن معنى ذلك أن من كسب كبيرة وأحاطت به كبيرته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون سواء كان من المسلمين أو من اليهود.

ومثال آخر بيان قوله تعالى: "هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ"[6]، فقد اختلف المفسرون في المراد بالطاغين في الآية، فأكثرهم حملوه على الكفار في حسب وأوله الجبائي وقال: إنه محمول على أصحاب الكبائر سواء كانوا كفاراً أو لم يكونوا كذلك، يعنى أن أصحاب الكبائر من المسلمين داخلون في لفظ الطاغين،[7] واحتج على تأويله بقوله تعالى: "إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ"[8]، وقال: إن هذه الآية تدل على "أن الوصف بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبيرة، ولأن كل من تجاوز عن تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى".[9]

والمثال الآخر تفسيره لفظ غافر الذنب في قوله تعالى: "غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ"[10]، وذكر أن المراد من غافر الذنب كون الله تعالى غافراً للكبائر بعد التوبة؛ لأن العبد "استحق غفرانه إما بتوبة أو بطاعة، وإن فاعل المعصية إما أن يقال: إنه كان قد أتى قبل ذلك بطاعة كان ثوابها أعظم من العقاب أو كان الأمر على العكس، فإن كان الأول كانت هذه المعصية صغيرة

---

[1] سورة القلم، الآية 35.

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 30 – ص 81.

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف، جـ4-ص.592.

[4] سورة البقرة، الآية 81.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 3 – ص 135.

[6] سورة ص، الآية 55.

[7] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 26 – ص 192.

[8] سورة العلق، الآيتان 6-7.

[9] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 26 – ص 192.

[10] سورة غافر، الآية 3.

فيحبط عقابها، وإن كان الثاني كانت هذه المعصية كبيرة فلا يزول عقابها إلا بالتوبة، فعلى ذلك، إن الله تعالى غافر ذنب العبد بعد التوبة".[1]

الفرع الرابع: المنزلة بين المنزلتين

يفيد أصل المنزلة بين المنزلتين حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا عند المعتزلة، فلصاحب الكبيرة عندهم اسماً بين الاسمين، وحكماً بين الحكمين، "فلا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن؛ بل له منزلة بينهما،"[2] أما حكمه في الآخرة فهو "إن هو خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلداً في النار، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أويرحمه، أي أن مرتكب الكبيرة بكونه يشبه المؤمن في عقده، ولا يشبهه في عمله. ويشبه الكافر في عمله، ولا يشبهه في عقده أصبح وسطاً بين الاثنين، وتبعاً لهذا يكون عذابه أقل من عذاب الكافر"[3]، وخالف المعتزلة في رأيهم هذا الخوارج الذين قالوا بأن مرتكب الكبيرة كافر، والمرجئة القائلين بإيمانه.[4] وأهل السنة أنه فاسق لا يخرج من الإيمان، وفي مشيئة الله يوم القيامة.[5]

ويرى الجبائي أن عقاب الكبيرة يحبط ثواب جملة الطاعات، فعلى سبيل المثال استشهد بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"[6] على رأيه في الإحباط والتكفير، وقال: إن العقل دل عليهما أيضا، فيشرح دلالة العقل "إن من أطاع وعصى، فلو استحق ثواب طاعته وعقاب معصيته لوجب أن يستحق النقيضين؛ لأن شرط الثواب أن يكون منفعة خالصة دائمة مقرونة بالإجلال، وشرط العقاب أن يكون مضرة خالصة دائمة مقرونة بالإذلال، فلو لم تقع المحابطة لحصل استحقاق النقيضين وذلك محال؛ ولأنه حين يعاقبه فقد منعه

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 27 – ص 24.

[2] القاضي عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 697.

[3] الإسفراييني، التبصير في الدين، ص 42.

[4] Celebi، Ilyas، Menzile Beyne'l-Menzileteyn، DIA، 2004، c.29، s.161.

[5] الطحاوي، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، وكالة الطباعة والترجمة، ت.أحمد شاكر، ص 206.

[6] سورة البقرة، الآية 264.

الإثابة ومنع الإثابة ظلم، وهذا العقاب عدل، فيلزم أن يكون هذا العقاب عدلاً من حيث إنه حقه، وأن يكون ظلماً من حيث إنه منع الإثابة، فيكون ظالماً بنفس الفعل الذي هو عادل فيه وذلك محال".[1]

والمثال الآخر تأويله ظاهر قوله تعالى: "لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"[2] فذكر أن تقديرها "لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح إذا لم تبطله، وعليها ما اكتسبت من العقاب إذا لم تكفره بالتوبة"[3]؛ لأن الثواب يجب أن يكون منفعة دائمة، وأن العقاب يجب أن يكون مضرة دائمة، والجمع بينهما محال عقلا.[4]

الفرع الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

"أجمعت المعتزلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان، واليد، والسيف، كيف قدروا على ذلك"[5]. وقد خالفه القاضي عبد الجبار بقوله: "إن المقصود في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر، فإذا ارتفع هذا الغرض ببعض المكلفين سقط عن الباقين، فلهذا قلنا: إنه من فروض الكفايات"[6]

ونرى في تفسير الجبائي أنه استشهد بقوله تعالى "وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ"[7] -مثل أصحاب المعتزلة الآخرين- على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه كفائي، وبيّن أن "التقدير وليكن جميعكم ومن دخلت لتخص المخاطبين من بين سائر الاجناس، كما قال: "فاجتنبوا الرجس من الأوثان"[8]، فعلى هذا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من فرض الاعيان لا يسقط بقيام البعض عن الباقين"[9]، وفي المقابل أن أكثر علماء

---

1 الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 7، ص 44.

2 سورة البقرة، الآية 286.

3 الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 7، ص 124.

4 المصدر نفسه، جـ 7، ص 124.

5 الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، ط 3، ص 278.

6 القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص 148.

7 سورة آل عمران، الآية 104.

8 سورة الحج، الآية 30.

9 الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 135.

أهل السنة والجماعة يرى أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، واستدل على آرائهم بالآية نفسها وقال أن حرف الجر "منكم" في الآية للتبعيض،[1] مع ذلك بعضهم يرى أنه فرض عين.[2]

المطلب الثاني: الموضوعات الفرعية المتعلقة بالعقائد

الفرع الاول: عصمة الأنبياء

يرى الجبائي أن الأنبياء معصومون عن المعاصي والذنوب، واستشهد بقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ"[3] على ذلك، وقال: إن الآية دلت على وجوب طاعتهم مطلقا، فلو أتوا بمعصية لوجب على أمتهم الاقتداء بهم في تلك المعصية، فتصبح تلك المعصية واجبة عليهم.[4]

وأيضا ذكر في قوله تعالى: "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ"[5] أن المعاصي لا تقع من الانبياء إلا سهواً، مع علمهم أنها معاصٍ، وعليه فإن الجبائي رأى أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة سهوًا، ليس بعلم.[6]

وبحث وقت العصمة للأنبياء في قوله تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ"[7]، وذكر أنها بعد النبوة، أما قبل النبوة فإن ارتكاب الكفر والكبيرة جائز.[8]

ويُرى في تفسير الجبائي أنّه ردَّ ما على الشبهات حول عصمة الأنبياء، على سبيل المثال، حمل زمن خواطر إبراهيم عليه السلام عن الكوكب، والشمس، والقمر في قوله تعالى: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ ٱلآفِلِينَ"[9] على "قبل بلوغه، وقبل كمال عقله".[10] وأيضا

---

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ.4-ص.106، وابن العربي، أبو بكر المالكي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، البيروت، 2003، جـ.1-ص.292، والجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، مطبعة البهية، مصر، 1347، جـ.2-ص.35.

[2] انظر: البغوي، الحسين بن مسعود أبو محمد، معالم التنزيل، دار الطيبة، الرياض، 1409، جـ.2-ص.84.

[3] سورة النساء، الآية 64.

[4] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 10 – ص 128-129.

[5] سورة طه، الآية 121.

[6] انظر: الطوسي، أبو جعفر معمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ. 7 – ص 213.

[7] سورة البقرة، الآية 36.

[8] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 3 – ص 8.

[9] سورة الأنعام، الآية 76.

[10] الطوسي، التبيان، جـ. 4 – ص 182.

فسر استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه في قوله تعالى: "إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ"[1] أن آزر كان "ينافق إبراهيم، ويريه أنه مسلم".[2]

وفسر دعوة نوح عليه السلام ابنه إلى الركوب معه في السفينة مع أن الله تعالى نهاه أن يركب فيها كافر في قوله تعالى: "قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ"[3] أن ابنه كان "ينافق بإظهار الايمان"[4].

وأيضا اعترض على القول إن يونس عليه السلام خرج مغاضباً لربه، وأنه ظن أن لن يقدر الله تعالى على أخذه بمعنى أنه يعجز عنه في قوله تعالى: "وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبۡحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ"[5]، وقال: إن الله تعالى "ضيَّق عليه السلام الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر، ثم قذف فيه فابتلعته السمكة"[6]. وأيضا ذكر أن يونس عليه السلام "لم يكن في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى؛ لأن العقوبة عداوة للمعاقب لكن كان ذلك على وجه التأديب... وبقاؤه في بطن الحوت حيّاً معجزة له"[7].

وبين كيف خفيت أخبار يوسف على يعقوب عليهما السلام في المدة الطويلة مع قرب المسافة، وكيف لم يعلمه يوسف بخبره في قوله تعالى: "يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ"[8]، وقال بإن "العلة في ذلك أن يوسف عليه السلام حُمل إلى مصر، فبيع من العزيز فألزمه داره، ثم لبث في السجن بضع سنين، فانقطعت أخبار الناس عنه، فلما تمكن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي أمكنه وكان لا يأمن لوبعث رسولاً إليه أن لا يمكنه إخوته من الوصول إليه".[9] وأيضا بيّن في تفسير قوله تعالى: "فَلَمَّا جَهَّزَهُمۡ بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَارِقُونَ"[10] أن

---

[1] سورة الممتحنة، الآية 4.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 466.

[3] سورة هود، الآية 43.

[4] الطوسي، التبيان، ج. 5 – ص 491.

[5] سورة الانبياء، الآية 87.

[6] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 386.

[7] المصدر نفسه، ص 386.

[8] سورة يوسف، الآية 87.

[9] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 330.

[10] سورة يوسف، الآية 70.

يوسف عليه السلام لم يأمر بجعل السقاية، وقال: "إنما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف عليه السلام من غير أمره، وعلمه".[1]

الفرع الثاني: التفضيل بين الملائكة والناس

يرى الجبائي أن الملائكة أفضل من الأنبياء الكرام، وفسّر قوله تعالى: "قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ"[2] على ذلك، وقال بإن الآية تدل على "أن الملك أفضل من الأنبياء؛ لأن معنى كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا أدعي منزلة فوق منزلتي ولولا أن الملك أفضل من الانسان وإلا لم يصح ذلك".[3]

وأيضا استدل بقوله تعالى "وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"[4] على تفضيل المَلَك على البشر؛ "لأنهن ذكرن من هو في نهاية الفضل، ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن"[5]، هناك النقطتين المهمتين في هذه المسألة، أولهما تفريق البشر، والبشر الصالح؛ لأن من الناس الكفار، والفجار، والمستكبرين، وأنهم مثل البهائم، والأنعام، بل أنهما أحسن حالًا كما ذكر القرآن الكريم: " إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"[6]، و ثانيهما، أن حقيقة البشر والملك مختلفة، لأجل ذلك أن التفضيل بينهما ممتنع القياس.

الفرع الثالث: كرامة الأولياء

نرى في تفسير الجبائي أنه لا يقبل كرامة الأولياء، فعلى سبيل المثال اعترض على من الذي حمل حصول الرزق عند مريم إلى كرامتها في تفسير قوله تعالى: "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا"[7]، وفسَّر أنه زكريا عليه السلام كان يجد الرزق عند مريم من معجزاته،[8] وبيَّن رأيه من وجهين: الأول: "أن زكريا عليه السلام دعا لها على الإجمال أن يوصل الله إليها رزقاً، وأنه ربما كان غافلاً عن تفاصيل ما يأتيها من الأرزاق من عند الله تعالى، فإذا رأى شيئاً بعينه في وقت معين قال لها

---

[1] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 328.

[2] سورة أنعام، الآية 50.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 12 – ص 191.

[4] سورة يوسف، الآية 31.

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 322.

[6] سورة الأنعام، الآية 55.

[7] سورة آل عمران، الآية 37.

[8] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 8 – ص 27-28.

"أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هو مِنْ عِندِ ٱللَّهِ"[1] فعند ذلك يعلم أن الله تعالى أظهر بدعائه تلك المعجزة، والثاني: يحتمل أن يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقاً معتاداً إلا أنه كان يأتيها من السماء، وكان زكريا يسألها عن ذلك حذراً من أن يكون يأتيها من عند إنسان يبعثه إليها، فقالت هو من عند الله لا من عند غيره.".[2]

[1] سورة آل عمران، الآية 37.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 8 – ص 27-28.

المبحث الثاني: ردود الجبائي على الآخرين

المطلب الأول: الدفاع عن مذهبه وتعقب الآخرين

تعقب الجبائي خصوم المعتزلة من الأشعرية[1]، والجبرية[2]، والرافضة[3]، والمرجئة[4] في آرائهم وأصولهم الاعتقادية، وبين آراءهم المخالفة له بشكل مفصل في تفسير بعض الآيات الكريمة.

الأشعرية:

ونرى في تفسير الجبائي أنه خالف الأشعرية في دلالة الألفاظ القرآنية بسبب الخلاف المذهبي، ومن أمثلة ذلك تفسيره قوله تعالى: "وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ"[5]، حيث احتج بعض الأشاعرة بقوله على كون الله تعالى خالقاً لأعمال العباد، فأجاب الجبائي أن لفظ "لِلَّهِ" إضافة إلى الملك، ليست إضافة إلى الفعل، وأيضا يقال في اللغة: هذا البناء لفلان، فيريد به أنه مملوكه لا أنه مفعوله،[6] وعلاوة على ذلك، فإنه "المقصود من الآية تعظيم الله لنفسه ومدحه لإلٰهية نفسه، ولا يجوز أن يتمدح بأن ينسب إلى نفسه الفواحش والقبائح."[7]

ومثال آخر على خلافهما في دلالة الألفاظ بيان قوله تعالى: "وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ"[8]، ذكر الرازي أن بعض أصحاب الأشعرية قالوا بأن المراد من لفظ "فمن نفسك" الاستفهام بمعنى الإنكار، وأما الجبائي ففسر الآية على ظاهرها، واستبعد وجه الأشعرية، وقال: "إنها تقتضي تحريف القرآن وتغييره وتفتح باب التأويلات الباطنية"[9]، ومع ذلك أوّل اللفظ "ليضلوا عن سبيلك" في قوله تعالى: "وَقَالَ

---

[1] "الأشاعرة فرقة كلامية كبرى، تنسب لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (324هـ) ظهرت في القرن الرابع وما بعده. بدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة، أخذها الأشعري عن ابن كلاب تدور على مسألة كلام الله تعالى وأفعاله الاختيارية، مع القول بالكسب الذي نشأت عنه نزعة الجبر والإرجاء، ثم تطورت وتعمقت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت من القرن الثامن وما بعده فرقة كلامية، عقلانية، فلسفية، مقابرية، مرجئة جبرية." (ناصر العقل، الفرق الكلامية، ص 49.)

[2] "الجبر هونفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلًا، والجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا." (الشهرستاني، الملل والنحل، جـ1-ص 72.)

[3] فهمنا من كلام الجبائي أنه يطلق الرافضة على الشيعة، و إن "الشيعة هم الذين شايعوا عليا وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية أما جليا وأما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده". (الشهرستاني، الملل والنحل)

[4] المرجئة فرقة تتأخر صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا تقضي عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة، أومن أهل النار. (الشهرستاني، الملل والنحل، جـ1-ص137.)

[5] سورة آل عمران، الآية 109.

[6] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 7-8، ص103 -104.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ7-8، ص103-104.

[8] سورة النساء، الآية 79.

[9] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 17-18، ص 122.

مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ"[1] بنفس الوجه.[2]

والمثال الثالث تفسير قوله تعالى: "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا"[3]، قال الأشعرية بإنَّ ظاهر الآية يدل على "أنه تعالى قد يمنع عن الإيمان ويصد عنه"[4]، واعترض الجبائي مع ذلك، وبيّن أن لفظ "سَأَصْرِفُ" يفيد المستقبل، وقد أخبر الله تعالى أنهم كفروا "فكذبوا من قبل هذا الصرف؛ لأنه تعالى وصفهم بكونهم متكبرين في الأرض بغير الحق وبأنهم إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً، فثبت أن الآية دالة على أن الكفر قد حصل لهم في الزمان الماضي، فهذا يدل على أنه ليس المراد من هذا الصرف الكفر بالله."[5]

ومن الأمثلة على خلافهما تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ"[6]، احتجت الأشعرية على مسألة القضاء والقدر بالألفاظ المذكورة في الآية: "الاستدراج، والإملاء، والكيد المتين، وكلها تدل على أنه تعالى أراد بالعبد ما يسوقه إلى الكفر والبعد عن الله تعالى"[7]، وأجاب الجبائي بتأويل لفظ الاستدراج وقال إن المراد منه استدراج إلى العقوبة، و"أنه تعالى استدرجهم إلى العقوبات حتى يقعوا فيها من حيث لا يعلون"[8].

الجبرية:

يرى الجبرية أنّ كلّ فعل يصدر عن الإنسان فهو من اللّه[9]، من دون أن يكون للإنسان أي اختيار بخلاف ما ذهب إليه الجبائي. لأجل ذلك، اعترض عليهم في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: "فَإِن

---

[1] سورة يونس، الآية 88.

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 17-18، ص 122.

[3] سورة الأعراف، الآية 146.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 15 – ص 3-4.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 15 - ص 3-4.

[6] سورة الأعراف، الآية 182-183.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 15 - ص 61.

[8] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 15 - ص61.

[9] الشهرستاني، الملل ونحل، جـ. 1 – ص 72.

زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[1] وذكر "لو كان الله تعالى يريد من السفهاء السفاهة لما جاز أن يوصف بأنه حكيم؛ لأن من فعل السفه فهو سفيه، لا يكون حكيما".[2]

والمثال الآخر تفسير قوله تعالى "يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ"[3]، إن المجبرة حملت الآية على ظاهرها خلافًا للأشاعرة والمعتزلة بمعنى أن الله تعالى خلق الضلال، وصد الكفار عن الإيمان، وردت المعتزلة قولهم بأدلة لغوية وعقلية[4]، فقال الرازي في هذا السياق:" إن الإضلال في أصل اللغة الدعاء إلى الباطل والترغيب فيه، والسعي في إخفاء مقابحه، وذلك لا يجوز على الله تعالى فوجب المصير إلى التأويل،"[5] وأوّلت المعتزلة الآية تأويلات عديدة ، أما الجبائي فحمل الإضلال على الإضلال عن الجنة، وأصبح المعنى على ذلك أن الله تعالى يضل الكفار عن طريق الجنة وثوابه، كما يذكر في قوله تعالى "كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ"[6] ويحمل الهمزة في هذا الوجه على التعدية،[7] وذكر أن ذلك "في الحقيقة ليس تأويلًا، بل حمل اللفظ على ظاهره، فإن الآية تدل على أنه تعالى يضلهم، وليس فيها دلالة على أنه عما ذا يضلهم".[8] وأيضا حمل الهداية على الهدى إلى طريق الجنة في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ[9] ".[10]

ويرى أهل الجبر أن الله تعالى كلف العبد بما لا يطاق، ورد الجبائي هذا القول في تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ"[11] وذكر أن الآية تدل على بطلان مذهب المجبرة، وأضاف إلى ذلك أن نفي التكليف بما لا يطاق يبطل أيضا هذين الأصلين عندهم: أولهما قولهم في أن خالق أعمال العباد هو الله تعالى، وذكر الجبائي "لوكان خالق

---

[1] سورة البقرة، الآية 209.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 103.

[3] سورة البقرة، الآية 26.

[4] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 2، ص 126-129.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 2، ص 129.

[6] سورة الحج، الآية 4.

[7] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 2، ص 129-131.

[8] المصدر نفسه، جـ 2، ص 131.

[9] سورة يونس، الآية 9.

[10] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 2، ص 134-135.

[11] سورة الأعراف، الآية 42.

أعمال العباد هو الله تعالى، لكان ذلك تكليف بما لا يطاق؛ لأنه تعالى كلفه بذلك الفعل حال ما خلقه فيه، فذلك تكليفه بما لا يطاق؛ لأنه أمر بتحصيل الحاصل، وذلك غير مقدور، وإن كلفه به حال ما لم يخلق من ذلك الفعل فيه كان ذلك أيضاً تكليف بما لا يطاق؛ لأنه على هذا التقدير لا قدرة للعبد على تكوين ذلك الفعل وتحصيله"[1] وثانيهما: قولهم في أن الاستطاعة حاصلة مع الفعل، وذكر الجبائي أن الاستطاعة موجودة قبل الفعل، "إذ لوكانت حاصلة مع الفعل، والكافر لا قدرة له على الإيمان مع أنه مأمور به فكان هذا تكليف ما لا يطاق"[2] أيضا.

وذهبت المجبرة إلى أن أكثر ما خلقه الله تعالى بين السموات والأرض من الكفر والمعاصي، ورد الجبائي هذا القول في كثير من الآيات، منها تفسير قوله تعالى: "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ"[3]، وقال بأن المراد من الآية كون السموات والأرض وما بينهما مخلوقًا بالحق، وإن الحق لا يكون الباطل في أي حال؛ "لأن كل ما فعل باطلاً وأريد بفعله كون الباطل لا يكون حقاً"[4]. وأيضا رد كلامهم أن الله يريد الفساد والبغي ومثل ذلك القبائح في الأرض، وذكر في بيان قوله تعالى: "وَلَوبَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ"[5] أن حاصل الكلام في الآية البغي غير مراد، وإرادة بسط الرزق غير حاصلة، ولذلك يوجب فساد قول المجبرة أن الله يريد الفساد.[6]

واختلفت المعتزلة والمجبرة في من الذي زُيّن في قوله تعالى "زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا"[7]، فقال الجبائي: إن المزين غواة الجن والإنس، حيث زينوا للكفار الحرص على الدنيا، وقبحوا أمر الآخرة في أعينهم، وأمَّا أصحاب المجبرة فذكروا أن المزين هو الله تعالى، فاعترض الجبائي على ذلك القول،[8] وبيّن أن "المزين للشيء هو المخبر عن حسنه، فإن كان المزين هو الله تعالى، فإما أن يكون صادقاً في ذلك التزيين، وإما أن يكون كاذباً، فإن كان صادقاً وجب أن يكون ما زينه حسناً، فيكون فاعله المستحسن له مصيباً وذلك يوجب أن الكافر مصيب في كفره ومعصيته، وهذا

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 14، ص 66.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 14، ص 66.

[3] سورة الحجر، الآية 85.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 19، ص 163.

[5] سورة الشورى، الآية 27.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 27، ص 146.

[7] سورة البقرة، الآية 212.

[8] انظرإلى الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 6 – ص 6.

القول كفر، وإن كان كاذباً في ذلك التزيين أدى ذلك إلى أن لا يوثق منه تعالى بقول ولا خبر، وهذا أيضاً كفر."[1]

الرافضة - الإمامية:

تعد التقية[2] عند الإمامية من أصول الدين، حتى إنهم جوزوا التقية أيضا على الأنبياء والأئمة[3]، واعترض الجبائي على هذا الرأي في بيان قوله تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ"[4] وقال بإن الآية تدل على عدم جواز التقية على الأنبياء.[5]

وأيضا أثبت الجبائي صحة خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم في تفسير قوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ"[6] وبيّن أن الله تعالى قد وعد المؤمنين أن يستخلفهم في الأرض، واستخلف فيها بعد رسول الله الأئمة الأربعة، وأيضا التمكين المذكور في الآية حصل في أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأن الفتوح كانت في أيامهم.[7]

واحتجت الرافضة بهذه الآية "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"[8] على الطعن في أبي بكر رضي الله عنه، وقالت بإن ماهية حزن أبي بكر رضي الله عنه إما كان حقاً، فعلى ذلك فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه؟ أو كان خطأً، فعلى ذلك يجب أن يكون أبو بكر مذنباً وعاصياً في هذا الحزن، وأجاب الجبائي عن تلك الشبهة بالآيات؛ فمنها قوله تعالى: "لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلأَعْلَىٰ"[9]، وذكر يجب أن يكون موسى عليه السلام من العاصين في خوفه وحزنه على قول الرافضة، "وذلك طعن في الأنبياء".[10]

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 6 - ص 6.

[2] التقية عند الشيعة الإمامة هي عبارة عن "كتمان الحق والستر الإعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين والدنيا"، محمد بن محمد المقيد، تصحيح الاعتقاد وبصواب الانتقاد، دار الكتاب اللإسلامي، بيروت 1983،ص 115.

[3] السيد ثامر العميدي، التقية في الفكر الاسلامي، مركز الرسالة، ص 48.

[4] سورة الأنعام، الآية 68.

[5] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، 212.

[6] سورة النور، الآية 55.

[7] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 399.

[8] سورة التوبة، الآية 40.

[9] سورة طه، الآية 68.

[10] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ 16، ص 55.

وبيّن الجبائي أن الآية "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي"[1] دليل على إبطال قول الرافضة بأن "الأئمة منصوص عليهم واحدًا بعد الآخر إلى يوم القيامة"[2]؛ لأنه على رأيهم يجب على آخر الأئمة أن يعلم أن القيامة تقوم بعده، وهذا مخالف للآية الكريمة.[3]

المرجئة:

يرى المرجئة أن لا وعيد لأهل الصلاة، واعترض الجبائي على هذا القول في تفسير قوله تعالى: "إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"[4]، وحكى أن الآية تدل على وعيد أهل الصلاة؛ لأن المراد منها أن المؤمنين إن لم ينفروا، أي لم يجاهدوا في سبيل الله يعذبهم الله عذاباً إليماً وهو عذاب النار.[5]

الرد على الفرق دون ذكر أسمائها:

ذهبت المعتزلة إلى أن أهل النار لن يخرجوا من جهنم ولو كانوا من الفاسقين، واستدل الجبائي على بطلان قول من يقول بأن أهل النار يخرجون من النار بقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ"[6] ويقول بأن "التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات"[7]، ولو صحّ إخراج أهل النار منها في أمتنا لصح في سائر الأمم، "ولوثبت ذلك في سائر الأمم لما كان المخبر بذلك كاذباً، ولما استحق الذم، فلما ذكر الله تعالى ذلك في معرض الذم علمنا أن القول بخروج أهل النار قول باطل"[8]، على رغم من عدم ذكر اسم الفرقة فصريح أنهم أهل السنة.[9]

---

[1] سورة الأعراف، الآية 187.

[2] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 262-263.

[3] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 262-263.

[4] سورة التوبة، الآية 39.

[5] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 16، ص 50.

[6] سورة آل عمران، الآيتان 23-24.

[7] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ. 7، ص 190.

[8] المصدر نفسه ، جـ. 7، ص 190.

[9] محمد عبدالهادي المصري، حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، دار الفرقان، ط.1، مصر،1411، ص.403.

المطلب الثاني: تعقبه علماء المعتزلة

واحدة من أهم سمات المعتزلة في الجدل "مجانبتهم التقليد، ومجافاتهم الاتباع لغيرهم، من غير بحث وتنقيب ووزن للأدلة ومقايسة للأمور، فالاحترام عندهم للآراء لا للأسماء، وللحقيقة لا للقائل، ولذلك لم يكن يقلد بعضهم بعضا، وقاعدتهم التي يسيرون عليها أن كل مكلف مطالب بما يؤديه إليه اجتهاده في أصول الدين، ولعل ذلك هو السبب في افتراقهم إلى فرق كثيرة."[1]

ونرى في تفسير الجبائي أنه انتقد علماء المعتزلة أيضا، فمثلا يرى الجبائي أن الشيطان مخلوق ضعيف ليس لديه قدرة على الصرع، والقتل، والإيذاء. وقال في تفسير قوله تعالى: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ"[2] أن "يتخبطه الشيطان" نسب إليه مجازاً لما كان عند وسوسته، وانتقد قول أبي الهذيل أنه أجاز أن يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض؛ لأن الظاهر من القرآن يشهد به، وليس في العقل ما يمنع منه[3]، ورد الجبائي ذلك الرأي بقوله: "لا يجوز ذلك؛ لأن الشيطان خلق ضعيف لم يقدره الله على كيد البشر بالقتل والتخبيط ولوقوي على ذلك لقتل المؤمنين الصالحين والداعين إلى الخير، لأنهم أعداؤه."[4]

ونرى في تفسير الجبائي أن أكثر تعقباته على الجاحظ، فمن أمثلة ذلك نقده رأي الجاحظ في تفسير قوله تعالى: "وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ"[5]، يرى الجاحظ أن قوم عاد وثمود كانا يعرفان أن أنبيائهم على الحق؛ لأن "الاستبصار لا يكون إلا معرفة بالدين والحق"[6]، واعترض الجبائي على مفهوم الاستبصار عند الجاحظ، وبيّن أن الاستبصار فعل الذي أعطاهم الله تعالى، وثبت عندهم معه استعداد النظر والاستدلال، ومع ذلك على رغم من كون القوم مستبصرين عملا، لم يعرفوا الله تعالى.[7]

---

[1] أبو زهرة، محمد، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ط.1، 1934، ص 210.

[2] سورة البقرة، الآية 275.

[3] انظر: الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 118-120.

[4] الجبائي، تفسير أبي علي الجبائي، ص 118-120.

[5] سورة العنكبوت، الآية 38.

[6] القاضي عبد الجبار، المغني، جـ. 12، ص 339.

[7] انظر: القاضي عبد الجبار، المغني، جـ. 12، ص 339-340.

وكذلك من تعقبات الجبائي على الجاحظ في تفسير قوله تعالى: "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[1] حين ذهب الجاحظ إلى أن المشركين كانوا يعرفون الله وصدق الرسول ولكن كانوا يعاندون، فرد الجبائي رأيه في ذلك بأن المراد من الآية أنهم يفهمون معنى القرآن العربي الذي يسمعونه؛ لأنه بلغتهم، ويعلمون مفارقته لكلامهم، ولكن مع ذلك لم يتمموا النظر والاستدلال.[2]

[1] سورة فصلت، الآية 3.

[2] انظر: القاضي عبد الجبار، المغني، جـ. 12، ص 339.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والشكر لله الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة، ورزقني الاشتغال بتدبر كتابه الحكيم.

وبعد دراستي لأبي علي الجبائي مفسرًا، أستطيع أن أجمل ما توصلنا إليه خلال البحث في النقاط التالية:

- عاش أبو علي الجبائي في العصر العباسي الثاني في الفترة ما بين 235 إلى 303 هـ، حيث شهد هذا العصر حركة الزنج، وتسلط الأتراك، كما ظهر دعم الخلفاء أهل السنة ضد مذهب المعتزلة، و مع ذلك لم يكن أي تأثير لهذا في فكر الجبائي فبقي يدافع عن فكرة خلق القرآن.

- ولد الجبائي في جبى من عمل خوزستان، وتشير المصادر إلى أن مذهب أغلب أهلها كانوا على الاعتزال، ويشير ذلك إلى تأثير مكان ولادته على حياته الفكرية.

- ذكرت المصادر أن للجبائي تفسيرًا في القرآن الكريم، ولكن لم يصل إلينا تفسيره، مع ذلك نقل منه بعض المفسرين بعينها، أو مختصرًا. ووصلت إلى أن الجبائي اعتمد في تفسيره على أقوال الصحابة والتابعين، والمفسرين ما قبله، وأنه تناول في تفسيره موضوعات من علوم القرآن.

- لئن اعتمد الجبائي في كشف مقصود الله تعالى من كتابه العزيز على العقل، والنقل، واللغة، والفقه، وإلا أنه أعطى العقل دورًا كبيرًا في تفسيره، وكان يجمع بين النقل والعقل، حيث جعل الدليل العقلي أصلًا في موضع، واستعمل الدليل النقلي أصلًا في موضع آخر، وتتغير أسبقيتهما حسب الموضوع، مع ذلك المكان الذي استعمل الدليل العقلي أصلًا في تفسيره أكثر.

- قد يعد تفسيره من أوائل التفاسير العلمية، حيث إنه أشار في تفسير بعض الآيات إلى الجوانب العلمية في الآيات القرآنية.

- يعد تفسير الجبائي من أوائل التفاسير التي اهتمت بعلم الكلام، وبالأخص الاعتزالي، حيث راعى فيه أصول المعتزلة الخمسة، وأكد عليها.

- تعقب علماء المعتزلة في آرائهم، وكذلك آراء المذاهب الأخرى المخالفة له، ونرى أحيانًا في تعقبه أن المذاهب المختلفة استشهدت على أرائهم المختلفة بالآية نفسها، ويشير ذلك أنه ليس من الصعب أن يفهم آية كما يشاء القارئ، فإن يظهر هنا أهمية معرفة المفسر أصول التفسير.

- ضرورة الاتجاه الكلامي في التفسير هي حقيقة لا جدال فيه مثل الإتجهات الأخرى، ولكن عندما تطالع في التفسير تميز بالاتجاه الكلامي، نرى المشكلة القائمة في موضوعية المفسر. بالتعبير الآخر، عندما يبدأ المفسر تفسير أحد الآيات العقدية، هل يحاول العثور على مراد الله تعالى أو يحاول تصديق آرائه الكلامية؟ كما نرى في تفسير الجبائي، إنه على رغم من أن يفسر بعض الآيات حسب قواعد اللغة، وأن يبقي في حدود البيان، أوّل بعض الآيات ابتعادًا عن محتوي الآية، و بالتكلف على أصول المعتزلة التي يعتقدها.

المراجع

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (المتوفى: 630هـ)، **اللباب في تهذيب الأنساب**، عدد الأجزاء:3، دار صادر، بيروت.
- الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر أبو الحسن، (المتوفى:324هـ)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ط.3، ، تصحيح هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت.
- الإصفهاني، محمد علي الرضائي، **دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن**، ط.2، مركز المصطفى صلى الله عليه وسلم العالمي للترجمة والنشر، قم.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (المتوفى:256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، ط.1، عدد الأجزاء:9، دار طوق النجاة، 1422.
- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، (المتوفى:429هـ)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، مكتبة ابن سينا، القاهرة.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (المتوفى:510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط.4، عدد الأجزاء:8، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (المتوفى:279هـ)، **سنن الترمذي**، ط.2، عدد الأجزاء:6، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1975.
- ابن تيمية، (المتوفى:728هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، جمع عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980.
- الجبائي، أبو علي محمد بن عبد الوهاب، (المتوفى:310هـ)، **تفسير أبي علي الجبائي**، حضر محمد نبها، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، (المتوفى:370هـ)، **أحكام القرآن**، مطبعة البهية، مصر، 1347.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (المتوفى:597هـ)، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، ط.2، عدد الأجزاء:2، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، 1981.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (المتوفى:597هـ)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ط.1، عدد الأجزاء:19، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
- حامد أبو زيد، نصر، (2007)، **الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة**، ط.6، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، (المتوفى:597هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ط.2، عدد الأجزاء:18، مؤسسة الرسالة، ، بيروت، 1993.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (المتوفى:852هـ)، **لسان الميزان**، ط.1، دار البشائر الإسلامية، 2002.
- حسن ابراهيم حسن، (1996)، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، ط.14، بيروت، دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي، (المتوفى:367هـ)، **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، 1938.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي، (المتوفى:745هـ)، **بحر المحيط في التفسير**، دار الفكر، بيروت، 1430هـ.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (2008)، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ط.3، دمشق، دار القلم.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (المتوفى:681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط.1، عدد الأجزاء:7، دار صادر، بيروت، 1971.
- الخياط، أبو الحسين عبد الحليم بن محمد بن عثمان، (المتوفى:681هـ)، **الإنتصار والرد على ابن الروندي الملحد**، دار الكتب المصرية، 1925.
- الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، (المتوفى:945هـ)، **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (المتوفى:945هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ط.3، عدد الأجزاء:25، مؤسسة الرسالة، عمان، 1985.
- الذهبي، محمد حسين، (2000)، **التفسير والمفسرون**، ط.7، عدد الأجزاء:3، مكتبة الوهبة، القاهرة.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ابن علي التيمي البكري الشافعي، (المتوفى:606هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط.4، عدد الأجزاء:23، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، (2014)، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، ط.19، الرياض.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى:606هـ)، **الأعلام**، ط.15، دار العلم، 2002.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمروبن أحمد، (المتوفى:538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط.3، عدد الأجزاء:4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407.
- أبو زهرة، محمد، (1934)، **تاريخ الجدل**، دار الفكر العربي، ط.1.
- زهدي، جار الله، **المعتزلة**، المكتبة الأزهرية التراث، القاهرة.
- السبحاني، جعفر، (1427)، **بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الاسلامية**، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ط.1.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، (المتوفى:982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سليم بن عبد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، (1465)، **الإستيعاب في بيان الأسباب**، ط.1، دار ابن الجوزي.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، (المتوفى:562هـ)، **الأنساب**، ط.1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1962.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى:911هـ)، **طبقات المفسرين العشرين**، ط.1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1396.
- الشبل، علي بن عبد العزيز، (2004)، **إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري سيرته عقيدته ومؤلفاته**، ط.1، الرياض، مكتبة الرشد.

- شنوقة، السعيد، **التأويل في التفسير بين المعتزلة والسنة،** المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (المتوفى:548هـ)، **الملل والنحل**، ط.2، عدد الأجزاء:3، دار الكتب العلمية، ، بيروت، 1992.
- صبحي، أحمد محمد، **في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين،** ط.5، عدد الأجزاء:3، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (المتوفى:764هـ)، **الوافي بالوفيات**، عدد الأجزاء:29، دار إحياء التراث، بيروت، 2000.
- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، (المتوفى:664هـ)، **سعد السعود للنفوس**، ط.1، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قوم، 1422.
- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، (المتوفى:664هـ)، **فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم**، المطبعة الحيدرية، النجف، 1948.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، (المتوفى:548هـ)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، ط.1، عدد الأجزاء:10، دار العلوم، بيروت، 2005.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (المتوفى:310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آى القرآن**، ت. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، عدد الأجزاء:25، دار هجر، 2001.
- الطحاوي، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، وكالة الطباعة والترجمة، ت.أحمد شاكر.
- الطوسي، أبو جعفر معمد بن الحسن، (المتوفى:310هـ)، **التبيان في تفسير القرآن**، عدد الأجزاء:10، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، (المتوفى:310هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، ط.1، عدد الأجزاء:20، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، (المتوفى:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، عدد الأجزاء:30، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997.
- ابن العربي، أبو بكر المالكي، (المتوفى:543هـ)، **أحكام القرآن**، عدد الأجزاء:4، دار الكتب العلمية، البيروت، 2003.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، (المتوفى:571هـ)، **تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الامام أبي الحسن الأشعري**، مطبعة التوثيق، دمشق، 1347.
- علبي، أحمد، 1985، **ثورة العبيد في الإسلام**، ط.1، بيروت، دار الآداب.
- علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي، (1972)، **فرق وطبقات المعتزلة**، الإسكندرية دار المطبوعات الجامعية.
- أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (المتوفى:444هـ)، **التيسير في القراءات السبع**، ط.2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404.
- العميدي، السيد ثامر، **التقية في الفكر الاسلامي**، مركز الرسالة.
- عواد بن عبد الله، (1995)، **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها**، ط.2، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.
- عواد، محمد حسن، (1402)، **تناوب حروف الجر في لغة القرآن**، ط.1، عمان، دار الفرقان.
- فضل حسن عباس، (2005)، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ط.1، عمان، مكتبة دنديس.
- فؤاد سيد، 1974، **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، ط.1، تونس، الدار التونسية.
- القاضي عبد الجبار، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، (المتوفى:415هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، ط.3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996.
- القاضي، أبو الحسن عبد الجبار، (المتوفى:415هـ)، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى، (المتوفى:276هـ)، **تأويل مختلف الحديث**، ط.1، دار الحديث، ، القاهرة، 2006.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، (المتوفى:671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط.2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، (المتوفى:774هـ)، **البداية والنهاية**، عدد الأجزاء:21، دار الفكر، 1986.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، (المتوفى:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط.2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999.
- محمد، صالح محمد سيد، (2001)، **مدخل إلى علم الكلام**، القاهرة، دار قباء.

- ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، (المتوفى:840)، **طبقات المعتزلة**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسأبوري، (المتوفى:261)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، عدد الأجزاء:5، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المصري، محمد عبدالهادي، (1411)، **حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة**، دار الفرقان، ط.1، مصر.
- المقدسي، أبو الحسن الهمذاني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، (المتوفى:521)، **تكملة تاريخ الطبري**، ط.1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958.
- المقيد، محمد بن محمد، (1983)، **تصحيح الاعتقاد وبصواب الانتقاد**، بيروت، دار الكتاب اللإسلامي.
- ناصر بن عبد الكريم العقل، (1422)، **الفرق الكلامية – المشبهة – الأشاعرة – الماتريدية**، ط.1، الرياض، دار الوطن.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، (المتوفى:438)، **الفهرست**، ط.2، دار المعرفة، بيروت، 1997.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفى:303)، **السنن الكبرى**، ط.1، عدد الأجزاء:10، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411.
- النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، (المتوفى:710)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط.1، عدد الأجزاء:3، دار الكلم الطيب، ، بيروت، 1998.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (المتوفى:468)، **أسباب نزول القرآن**، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1991.
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، (المتوفى:626)، **معجم البلدان**، ط.2، عدد الاجزاء:7، دار صادر، بيروت، 1995.
- يوسف، هانم إبراهيم، (1993)، **أصل العدل عند المعتزلة**، ط.1، القاهرة، دار الفكر العربي.

- Celebi، Ilyas، Menzile Beyne’l-Menzileteyn ،DIA ،2004 ،c.29 ،s.161-162.
- Hansu، Huseyin، **Mutezile ve Hadis**، Otto، Ikinci Baskı، Ankara، 2012.
- Ilhan، Avni، Ebu Hasim el-Cubbai، DIA ،1994، c.10، s.146-147.
- Kologlu، Orhan Sener ،**Cübbailer’in Kelam Sistemi**، Uludag Universitesi Sosyal Bilimler Enstitusu، Temel Islam Bilimleri Ana Bilim Dalı، Kelam bilim dalı، Basılmış Doktora Tezi.
- Yavuz ،Yusuf Sevki ،Ebu Ali el-Cubbai ،DIA ،1993، c.8، s.99-102.
- Yildiz، Hakki Dursun، Abbasiler، DIA، 1998، c.1، s.31-48.

" ABU ALI AL-JUBBA'I AS AN EXEGET"

By:

Kubra Ozdemir Keles

Supervisor:

Dr: Ahmad Khaled Shukri, Prof.

Co. Supervisor:

Dr: Ibrahim Burquan

In this study I will mention the method of Abu Ali al-Jubba'i in the field of Tafsir and I will focus on his works with the perspective of Mu'tazila. What is more; I will study the history of al-Jubba'i as a period in terms of his politics and knowledge and life and place in science and works. After that I will state al-Jubba'is Tafsir and his works that are come from certain tafsir sources and the the sciences of Quran that were used by him such as nash and asbab al nuzul.

After that I will analyze the method of al-Jubba'i under four titles. First of all, I will state the quranic tafsir which is oriented Quran with Quran, and with Sunnah, and with alsahaaba and followers speech. Then I will state how al-Jubba'i used Arabic language and its rhtoric throughout his tafsir study. What is more, I will declare how he discoursed about the topics of fiqh throughout his tefsir method.

At the end of this study I will talk about al-Jubba'is style of tafsir that includes ilm al kalam and its effect of five fundementals of mu'tazila and also I will indicate al-Jubba'is criticisim of other opinions. Moreover, I will finish my theses with important conclusion and recommendation.

Keywords: Method of Ali al-Jubba'i in Tafsir, and Mu'tazila.